الفصل الثاني

من آدم عليه السلام إلى انتهاء الطوفان

obeikandl.com

obeikandl.com

آدم الإنسان الأول

تحدثت التوراة عن آدم باعتباره أول مخلوق خلقه الله على الشكل الذي نعرفه وقد ذكرته في الإصحاحين الثاني والثالث في سفر التكوين.

ماذا قالت التوارة عن آدم:

(وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكر وأنثى خلقهم) التكوين: 1: 26 ـ 27.

ثم يرد في التكوين 2/ 7 ـ 8: (وجبل الرب الإله آدم من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية، وغرس الرب الإله آدم ووضع هناك آدم الذي جبله).

ويرد في السفر نفسه: 2: 15 ـ 25: (وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً أما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت، وقال الرب الإله ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له معيناً نظيره، وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره، فأوقع الرب عليه سباتاً فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الإله الرب الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم فقال آدم: هذه عظم من عظمي ولحم من لحمي، وكانا كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لايخجلان).

وفي الإصحاح 3: 4 ـ 24: (فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكم وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فأخذت من ثمرها

وأكلت وأعطت زوجها أيضاً فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر).

(وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله وقال أين أنت فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت فقال من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لاتأكل منها).

(فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل في الأرض التي أخذ منها فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة).

إلى هنا تتوقف التوراة عند قصة خلق آدم بهبوطه إلى الأرض ليبدأ الإصحاح الرابع حيث يعرف آدم حواء فتحبل... إلخ.

أما في القرآن فقد ذكر اسم آدم خمساً وعشرين مرة في خمس وعشرين آية.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الأعراف: 11].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: 26-31].

ويقول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ

وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ص: 71 - 74].

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 34].

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۚ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: 50].

ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: 61 - 65].

ويقول الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: 12 - 18].

ويقول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ

عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: 32 ـ 43].

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: 75 ـ 76].

وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة 31 ـ 33].

ويقول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 35 ـ 38].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن

تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 19ـ25].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: 115ـ 123].

فمن خلال ما ورد في سفر التكوين التوراتي وما ورد في القرآن الكريم نستطيع أن نقارن مسألة بمسألة ونقف عند كل محطتين متشابهتين لندرك الفروق بين حقيقة الواقع القرآني وبين ما جاءت بها التوراة.

1ـ المسألة الأولى: سبب خلق آدم، وتتضمن فكرة خلقه من قبل رب العالمين.

2ـ المسألة الثانية: طبيعة خلق آدم وتركيبته ونفخ الله نسمة الحياة.

3ـ المسألة الثالثة: أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ورفض إبليس أمر الله.

4ـ المسألة الرابعة: نهي الله لآدم بألا يتبع الشيطان وألا يأكل من الشجرة المحرمة.

5ـ المسألة الخامسة: الجنة وسكن آدم وحواء فيها.

6ـ المسألة السادسة: مخالفة آدم أمر ربه وقصة الخطيئة والهبوط إلى الأرض واستغفاره.

7ـ المسألة السابعة: ما يتعلق بتعليم آدم الأسماء وبعض القضايا الجانبية.

8ـ المسألة الثامنة: لماذا آدم نبيٌّ؟ وليس إنساناً عادياً؟

المسألة الأولى: فكرة خلق آدم، سبب خلقه.

بالمقارنة بين ما ورد في التوراة وما في القرآن الكريم نجد أن الرب حسب النص التوراتي يخلق سلسلة من الأشياء في أيام ستة وفي اليوم السادس ذاته يخلق آدم، أما لماذا خلقه فيتضح أن خلق الكون من سموات وأرض ونبات وحيوان ومن ثم خلق آدم تسير جميعها ضمن سلم المخلوقات التي صنعها الله. وآدم خلق ليثمر ويكثر ويملأ الأرض ويخضع حيواناتها وطيورها وبحرها لإرادته.

أما في القرآن الكريم فهناك مخلوقات أخرى، هناك ملائكة وهناك جن خلقهم الله قبل خلق آدم، الملائكة مخلوقات نورانية والجن مخلوقات نارية وإرادة الله اقتضت أن يخلق العنصر الثالث (وهو الإنسان) من تراب.

في النص التوراتي ندرك أن خلق الإنسان من قبل ربه تم بإرادة غامضة دون أن يظهر المغزى أو العبرة من هذا الخلق.

وإذا راجعنا الحوار الذي جرى بين الله سبحانه وبين ملائكته وإبليس في القرآن الكريم نجد أن هناك غاية من خلق آدم. قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] فالأرض التي مهدها الله وأحيا فيها كل ما يجعل الإنسان يعيش فيها أو يحيا أصبحت جاهزة ليوكل الله تعميرها لمخلوق ركبه من الخير والشر.

قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

فهذا الحوار شاهد للإنسان العاقل، المقصود منه تبصير بني البشر بأن ما يعلمه رب العالمين لا يعلمه أحد، فخلقه للإنسان ليس بلا غاية وبلا هدف بل هو لهدف ولغاية يقصر علم الملائكة وغيرهم عن إدراك قصد الله.

وفي الحوار الذي يدور بين الله سبحانه وإبليس يوضح أيضاً مسألة هامة وهي أن الله سبحانه وتعالى خلق مخلوقاته لتحاور وتختار، وبعد أن يوضح الله سبحانه

طريق الصواب وجزاءه وطريق الخطأ وجزاءه يرفض إبليس إطاعة أمر ربه، والله قادر على أن يجعل إبليس ينفذ أوامره لكن العبرة من اتخاذ الشيطان طريق الرفض والعناد هو منح الإنسان فرصة للتفكير في عاقبة رفض أوامر الله، ثم إن العبرة أيضاً تكمن في تعريف الله لبني البشر أن الشر والخير نقيضان متناقضان خلقهما الله تعالى متمثلين بإبليس رأس الشر وبالملائكة رأس الخير وسيبقى الصراع بينهما ما دام هناك بشر على وجه الأرض، ولو أن الشر غير موجود لما وجد الامتحان، ووجود الإنسان على ظهر الأرض وجود خاضع للامتحان إلى يوم القيامة.

وقد بين الله سبحانه في الكثير من الآيات أن هذه الدنيا دار فناء وامتحان والآخرة دار بقاء وخلود.

إذاً الفرق واضح بين غاية الله في خلقه للإنسان في التوراة والقرآن، فهناك غايته تعمير الأرض وإخضاع الحيوان والنبات لرغباته، بينما في القرآن الكريم فالغاية تعمير الأرض أولاً ثم محاربة طاغوت الشيطان ثانياً والاستعداد للانتقال إلى يوم آخر هو يوم الحساب.

فأين الشيطان في التوراة، أين الغاية من استعداد الإنسان ليستقبل يوم الآخرة؟ أين الصراع بين الخير والشر أين الامتحان؟ فالشيطان متمثل في الحية فحسب، وهي رمزه وعلامته.

ولو اقتصر هدف الله في خلق آدم على تعمير الأرض دون أي هدف آخر لانتفى الامتحان ولانتفت القيامة والجزاء والعقاب.

وتعمير الأرض لايتم إلا بمشقة وعناء وصراع، فهناك من يريد خراب الأرض لا تعميرها، والتعمير ليس تعميراً مادياً فحسب إنما هناك تعمير معنوي عقلي نفسي وسلوكي. والشيطان الذي يمثل رأس الشر سيكون ضد تعمير الأرض، بمعنى أنه سيحاول منع التعمير المعنوي والنفسي والسلوكي لأن أي انحراف سلوكي هو تخريب وليس تعميراً وعندما يقول الله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

﴿ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فالمقصود أن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض يسعى لتعميرها مادياً ومعنوياً حسب ما يرضى الله وحسب مايكره الشيطان.

وكم من الآيات حثت الإنسان على ألا يعيث فساداً في الأرض، فلو عمر الإنسان هذه الأرض بكل المعالم الحضارية المادية دون أن يقيم صرح التعمير المعنوي فإنه يعيث فساداً، والبناء بناء النفوس والأرواح والعقول وليس بناء الحجارة والصروح المادية فحسب.

يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [البقرة: 36].

ويقول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: 15].

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

المسألة الثانية: خلق آدم من تراب:

أوردت التوراة في النص الألوهيمي أي في الرواية الثانية لخلق الكون قولها: (وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية)، بينما يخلو النص الأول من قصة خلق آدم من تراب.

ويرد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: 71].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: 14-15].

فنرى أن أصل مادة خلق الله الأولى هي التراب في التوراة والقرآن غير أن القرآن الكريم يورد مادة خلق آدم في سياق النص الذي يقارن خلقه بخلق الجان من مارج من نار، والشيطان باعتباره من الجن كما نص عليه القرآن الكريم في سورة الكهف وباعتباره الطرف الآخر النقيض للإنسان أوردته الآيات القرآنية لتصل إلى المقصد من خلق الله الإنسان من طين أو من صلصال.

وفي القرآن نفسه تفصيل لطبيعة هذا التراب وهذا التفصيل ليس موجوداً في التوراة فالله سبحانه (سوى آدم من طين من حمأ مسنون - فتغير حتى إذا صار ذلك الطين صلصالاً كالفخار نفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان حي من لحم ودم وعظم يتحرك بإرادته ويدرك)[1] وقد احتج الشيطان على أمر الله له بالسجود أنه اعتقد أن طبيعة خلقه من نار هي خير من طبيعة خلق آدم.

وعندما ترتكز بعض الآيات القرآنية على خلق آدم من صلصال كالفخار وعلى خلق الجان من مارج من نار فإن ذلك لم يكن عبثاً. لأن هذا التركيز يفتح أمام الإنسان باب التساؤل هل النار أفضل من الطين حتى يظن إبليس أنه أفضل من آدم؟ ثم لماذا خلق الله الإنسان من تراب ولم يخلقه من شيء آخر؟

فما نفتقده في التوراة نجده في القرآن الكريم، ليس هناك مقارنة بين الطين والنار لأنه ليس هناك مقارنة بين الشيطان وآدم، أي بين تمام الشر وبين نقيضه.

والشيطان الذي احتج على الله لايعرف أن هذا المخلوق من طين قد أودعه الله من الأسرار مايعجز عنه إبليس نفسه. (عناية الله إذا وجهت إلى الشيء الحقير خلعت عليه حلل البهاء والجلال وصار عظيماً كما توجهت عنايته تعالى إلى التراب الذي جبل منه آدم فصيرته بشراً سوياً وجعلته مظهراً لأسرار قدرته وحكمته وعلمه الواسع فأفاض عليه من العلم والمعرفة ما أقر الملائكة بالعجز عن إدراكه)[2].

---

(1) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص26.

(2) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 26.

لقد خلق الله سبحانه الجان من نار وخلق الملائكة من نور وخلق الإنسان من تراب وعلى مستوى العقل البشري فإن النور والنار أقوى مزية وأفضل من التراب. لكن الله سبحانه نفخ في هذا التراب من روحه فإذا هو إنسان فيه عقل وفيه وجدان وإحساس وضمير وعاطفة وإيمان وكفر وهذه التي تمتع بها الإنسان لم يتمتع بها الملائكة ولا تمتع بها إبليس، فالتراب الذي هو أدنى مزية من النار أو النور يصبح الأفضل إذا نفخ فيه الله من روحه ومنحه العقل والتفكير.

لقد تنزه الملائكة عن الشر لما جبلهم الله عليه من تسبيحه وإبداء الحمد والشكر له، وابتعد الشيطان عن الخير فأصبح شراً بذاته غير أن الإنسان حوى بقدرة الخالق خير الملائكة إن هو اتبع طريق الله وحوى شر الشيطان إن هو اتبع طريق الضلال.

لا الملائكة خلقوا ليحملوا النقيضين ـ الشر والخير ـ ولا الشيطان بقادر ليحمل إلى جانب الشر خيراً يناقض به ذاته، ومقياس شرية الشيطان لاتنطبق على جميع الجن، إنما تنطبق على صنف إبليس وحده.

وهذا التراب الذي صيره الله إنساناً عاقلاً خلق من مادة قابلة لعطاء النور وقابلة أيضاً لحمل الشر وهنا تكمن معجزة الله، الإنسان بتقواه وتقربه الخالص إلى الله سيجعله يتفوق على الملائكة وبكفره وفساده سيكون أحط من الشيطان الذي هو شر خالص، وعندما يقول تعالى ونفخنا فيه من روحنا فإن ذلك يعني أن هذا الإنسان المخلوق من تراب حمل في ذاته نفحة ربانية تتمثل إذا تمكنت من الجسد بالقرب من الخالق وتطويع المادة الترابية لانبعاث النور وطرد الشر.

والمسألة الثالثة: هي أمر الله ملائكته وإبليس بالسجود لآدم:

لقد قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: 29] فالأمر بالسجود لآدم سبق خلق آدم نفسه، أما السجود كواقعة فقد حدثت بعدما أتم الله خلق آدم إنساناً فيه روح، والسجود هنا كما أشار العلماء

ليس سجود عبادة إنما سجود تكريم لأن الله لا يأمر أحداً أن يتوجه بالعبادة إلى سواه[1].

أما التوراة فإنها تخلو من قصة السجود مطلقاً لأنه لا وجود لإبليس، ولا وجود للملائكة عندهم في هذه الحادثة.

أما قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: 30].

فيشير إلى تساؤل الملائكة كيف يا رب تخلق في الأرض من يسفك الدماء ويفسد. فما الذي عرف الملائكة أن الذي سيخلقه الله ويجعله في الأرض سيكون سافك دماء ومفسداً فيها؟

قال العلماء والمؤرخون العرب في ذلك عدة أقوال:

فقد ورد في كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير قوله: (روي عن ابن عباس وابن مسعود أن إبليس كان له ملك سماء الدنيا وكان من قبيلة يقال لهم الجن وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة وكان إبليس مع ملكه خازناً، قال ابن عباس ثم إنه عصى الله تعالى فمسخه شيطاناً رجيماً فأول من سكن في الأرض الجن فاقتتلوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً قال فبعث الله تعالى إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم هذا الحي الذي يقال لهم الجن فقاتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال فلما فعل ذلك اغتر في نفسه وقال قد صنعت مالم يصنعه أحد فاطلع الله تعالى على ذلك من قلبه ولم يطلع عليه أحد من الملائكة الذين معه. وقال شهر بن حوشب إن إبليس كان من الجن الذين سكنوا الأرض وطردتهم الملائكة. وأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء)[2]. هناك احتمال أن تكون الملائكة عرفت إمكانية إفساد الإنسان من

---

(1) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص26.

(2) ابن الأثير الكامل في التاريخ ص25-26.

خلال لفظة خليفة. ومن معانيها الحاكم الذي يحكم بين الناس. وما دام هناك حكم وحاكم فهناك ظالم ومظلوم.

وروي عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك للذي كانوا عهدوا من أمره أتجعل فيها من يكون مثل الجن الذين كانوا يسفكون الدماء فيها ويفسدون ويعصونك ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك[1] وترى التوراة أن الحية هي التي أغوت حواء لتأكل من شجرة الجنة المحرمة. ولا تورد أي ذكر لإبليس.

تقول التوراة: وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لاتأكل من كل شجر الجنة فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر[2] وهنا يجدر بالمرء أن يسأل مجموعة من الأسئلة حول ما قالته التوراة.

أولاً: الحية أحيل جميع حيوانات البرية، فهل في الجنة برية وفيها حيوانات أخرى؟ وهل عمل الإله الرب الحيوانات في الجنة أو في الأرض؟

ثانياً: لو افترضنا أن الجنة حوت حيوانات كثيرة ومنها الحية فهل الحيوانات تنطق أو تعقل؟

ثالثاً: هل الحية تعلم غيب الله الذي خبأه عن آدم وكيف؟

رابعاً: لو كانت الحية تعلم حقاً أن الأكل من الثمرة المحرمة يجعل آكلها عارفاً للخير والشر فلماذا لا تأكل الحية نفسها حتى تصبح كالله عارفة الخير والشر؟

هذه المسائل تجعلنا نرفض مقولة التوراة لأن ذلك مخالف للمنطق وللعقل

---

(1) ابن الأثير الكامل في التاريخ ص27.

(2) التوراة سفر التكوين الإصحاح الثالث من 1 ـ 6.

ولايرتبط لا من بعيد ولا من قريب بمسألة الصراع بين الخير والشر اللذين يمثل أحد طرفيهما الشيطان.

أما في القرآن الكريم فتقول الآيات الكريمة: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: 31]، ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: 34] وفي الكهف 50: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ وفي الأعراف 11 ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝ قَالَ أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾[13-15].

ففي الآيات الكريمة عدة تنبيهات نتوقف عندها.

أولها: أن إبليس لم يسجد ورفض أمر الله سبحانه فلعنه وأمره بالخروج من الجنة.

ثانيها: أن إبليس طلب من الله أن ينظره فأنظره إلى يوم يبعث البشر بعد موتهم.

ثالثها: إذا كان الله قد طرد إبليس من الجنة فكيف رجع إليها ووسوس لآدم وزوجته وأغواهما وأضلهما؟

وقد حذر الله آدم وزوجته من الشيطان وصرحت الآيات الكريمة أن الشيطان عدو لكما فلا تتبعاه.

ذكر ابن الأثير في كتابه الكامل (فلما أسكن الله آدم وزوجته الجنة أطلق لهما أن يأكلا كل ما أرادا من كل ثمارها غير ثمرة شجرة واحدة ابتلاء منه لهما وليمضي قضاؤه فيهما وفي ذريتهما فوسوس لهما الشيطان وكان سبب وصوله إليهما أنه أراد دخول الجنة فمنعته الخزنة (الملائكة) فأتى كل دابة من دواب الأرض وعرض نفسه عليها أن تحمله حتى يدخل الجنة ليكلم آدم وزوجته فكل الدواب أبى عليه حتى أتى الحية وقال لها أمنعك من ابن آدم فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به وكانت ماشية على أربع قوائم

من أحسن دابة خلقها الله فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها . . . فلما دخلت الحية الجنة خرج إبليس من فيها ، فناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها فقالا له ما يبكيك قال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة فوقع ذلك في نفسيهما ثم أتاهما فوسوس لهما وقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . . . إلخ)[1] .

فابن الأثير وضع الخبر دون إرجاعه إلى سند يثبت هذا الكلام ، فلو كان الكلام مسنداً إلى رسول الله ﷺ لسلمنا به لكنه لم يسنده فهو خبر قابل للتصديق وغير خال من الشك أو التكذيب .

والذي نفهمه من سياق الآيات الكريمة أن إبليس قد طرد من الجنة وأن الله حذر آدم وحواء منه ، لكنه وسوس لهما ، والوسواس هو الحديث المخفي الأشبه بالهمس داخل النفس فليس شرطاً أن يكون إبليس قد دخل الجنة بهيئته من خلال الحية إنما الذي نقترب منه أنه وسوس في نفس حواء وآدم وسواساً من بعيد . ولا يصح أصلاً أن يدخل إبليس الجنة وقد غضب الله عليه وأخرجه منها ، ولا يتجرأ إبليس أن يخالف أمر ربه مرة أخرى لأنه يعرف عقاب من يخالف أمر الخالق . وتحذير الله لآدم وحواء من إبليس هو تحذير من وسوسته وإغوائه ، وبما أن إبليس مخلوق من نار وقد منحه الله ما طلب من حيث إفساده في الأرض وبين الناس ، فكان أول عمل قام به إفساد عقل آدم وحواء وإغواءهما ، وبذلك اعتبر آدم أول ضحية من ضحايا إبليس .

غير أنه لا يغيب عن ذهننا أن الله سبحانه جعل هبوط آدم من الجنة لأسباب توجب ذلك وكي يتم امتحان آدم وزوجته وهبوطهما إلى الأرض واستخلاف الإنسان فيها كما أراد الله بعلمه السابق جاءت قصة الخلق ثم سجود الملائكة لآدم ورفض إبليس ثم استطاعة إبليس على إغواء آدم وزوجته وهبوطهما إلى الأرض

---

(1) ابن الأثير الكامل في التاريخ ص33 .

بسبب عصيانهما لأمر الله سبحانه وتعالى.

وحتى يكون الدرس واضحاً لبني البشر فقد تسلسلت الأحداث والحوارات تسلسلاً منطقياً يستوعبه العقل ولا يخالفه.

قد يقول قائل إذا كان الله سبحانه قد خلق آدم وحواء في الجنة ليعيشا فيها بأمان فلماذا غضب عليهما ثم أنزلهما من الجنة إلى الأرض؟ أليس في ذلك ظلم لبني البشر؟

وللرد نقول إن الله سبحانه قال: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾، فالله خلق الإنسان ليكون في الأرض يعمرها ويستخلفه فيها أما مسألة وجوده في الجنة ثم عصيانه أمر ربه وهبوطه إلى الأرض فهذه كلها تشكل الدرس الأول لبني البشر حيث تعلمهم أن أي إنسان سيتعرض للامتحان والصراع مع الشيطان، فإن تغلب عليه كان الرابح في دنياه وآخرته وإن غلبه الشيطان فإن مصيره سيكون مصير من غضب الله عليه وهذا الدرس ليس القصد منه ظلم بني البشر، لقد ركب الله الإنسان تركيباً عجيباً حيث وضع فيه العقل الذي يميز وعلمه ماهو الخير وما هو الشر وحذره من الشيطان وعاقبة من يتبعه، فالإنسان الأول ـ آدم ـ اختار بملء إرادته طريقه، ولو أن الله سبحانه أراد له أن يكون صالحاً دون التعرض للصراع مع الشر لما كان هناك سبب لخلقه وامتحانه ومحاسبته حسب أعماله.

أما الشجرة المحرمة فقد ذكرتها التوراة بالنص التالي (فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت زوجها أيضاً معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان).

وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمر الأرض التي أخذ منها.

فواضح من النصوص التوارتية أن في الجنة شجرتين، شجرة معرفة الخير

والشر وشجرة الخلود، والسياق التوراتي يدل بشكل أو بآخر على أن الله حينما يقول لعله يمد يده، فإنه يدلل على أن الله يخمن أو يظن وهذه ليست من صفات الله الذي يعلم مايخفى وما يسر في النفوس.

لقد غاب عن التوراة تماماً أن الله خلق الإنسان ليكون في الأرض يعيش ثم يموت ثم يبعث يوم الحساب.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾.

واضح من خلال النصوص القرآنية أن هناك شجرة واحدة في الجنة هي شجرة المعرفة حيث إن آدم وامرأته لما أكلا منها عرفا أنهما عريانان.

أما أن هناك شجرة الخلد فهذا ما قاله الشيطان في وسوسته لآدم، هل أدلك على شجرة الخلد وملك لايبلى، ولو أنها فعلا شجرة الخلد لعاش آدم وخلد هو وزوجته لأنه أكل منها، إنما أراد الشيطان أن يزين لآدم قيمة هذه الشجرة ومكانتها ليغريه بها ويطمع بما ليس له به علم.

وفي هذا السياق نود أن نشير إلى أن التوراة جعلت الحية تفتن حواء وحواء تفتن زوجها آدم، بمعنى أن حواء هي التي أغوت آدم ولذلك حملتها التوراة الخطيئة الأولى، وقد قالت التوراة بصدد ذلك:

(فقال من أعلمك أنك عريان: هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها، فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة الحية غرتني فأكلت فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين وتراباً تأكلين كل أيام حياتك.. وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك وبالوجع تلدين أولادك... وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك... ملعونة الأرض بسببك،

بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك).

بينما لو توقفنا مع آيات الكتاب الكريم نرى أن لاوجود لتحمل امرأة آدم وزر الخطيئة.

يقول الله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: 120].

وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: 20].

فمن خلال ما تقدم نرى أن الشيطان وسوس لآدم فأزله وأزل زوجته ولم يرد أن المرأة هي التي أغوت آدم بعد أن أغوتها الحية كما قالت التوراة.

ونعود لدراسة نتائج هذه الخطيئة التي ارتكبها آدم وزوجته لنرى ما قالته التوراة وما يقوله القرآن الكريم.

1 ـ في التوراة لعن الرب الإله الحية من بين جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، وجعلها تحيا سعياً على بطنها دون أرجل وتأكل التراب طوال حياتها.

2 ـ كون المرأة لتتعب في حملها ولا تلد إلا بالوجع.

3 ـ أما آدم فقد لعن الرب الإله الأرض بسببه، وبالتعب يأكل كل أيام حياته.

أما في القرآن فليس هناك أي وجود للحية.

وليس هناك حديث عن زوجة آدم وكيف تحبل أو تلد.

وليس هناك لعنة من الله على الأرض بسبب خطيئة آدم.

1 ـ فلعنة الله التي لعن بها الحية غير مقبولة لأنها لو كانت فعلاً ملعونة لما اختارها الله لتكون عصا موسى التي لقفت كل ما فعله السحرة، ولكان الله قد اختار حيواناً آخر غيرها. ثم إن الله سبحانه حرم أكل لحم الخنازير بالنص الحرفي

أفليس أولى أن تكون اللعنة عليه وليس على الحية؟ ثم إن الله سبحانه لم يلعن مخلوقاً من مخلوقاته سوى الشيطان الذي رفض أمر ربه، ومعلوم أن الشيطان ليس حيواناً أو وحشاً من وحوش البرية إنما هو مخلوق عاقل من نار يحاور ويفكر ويرفض.

2 ـ ثم إن الحية لايتوقف أكلها على التراب، فهي تسكن في الشتاء ويقال إنها تأكل التراب طوال فصل الشتاء لكنها في الربيع والصيف ومعظم الخريف تأكل فئران البرية والضفادع والحشرات الأخرى والعصافير الصغيرة، وكثير من الشعوب يقدس الحية، بل إن كثيراً من البشر يروضونها ويربونها، لاسيما في تايلاند والهند وغيرهما، وقد رأينا وسمعنا كيف أن بعض فرق السيرك تدرب الثعابين على فعل أشياء تدهش الإنسان، دون أن تؤذيه.

ثم إن هناك حيات تعيش في البحر وهي سامة وقاتلة لكنها تسبح في جوف الماء ولا تسعى على بطنها ولا تأكل التراب بل تسبح سباحة وتأكل صغار الأسماك وما شابهها.

ثم إن الحية ليست الوحيدة التي إذا لدغت الإنسان بسمها تؤذيه أو تقتله فهناك العقرب وهو أشد فتكاً إذا سمم الإنسان، وهناك العنكبوت الأسود السام وغير ذلك من الحشرات والوحوش.

وينتهي الإصحاح الثالث في التوراة عند قولها: فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب... إلخ.

وعند هذا الحد نرى أن آدم وحواء طردا من الجنة إلى الأرض وراحا يعملان فيها وينجبان الأولاد بينما في القرآن الكريم لاتتوقف الأمور عند هذا الحد. فآدم الذي أخطأ لم يقطع صلته بخالقه، وعلى الرغم من طرده من الجنة فقد أدرك أن خطأه هو السبب في الخروج من دار النعيم إلى دار التعب، وعلى الرغم من ذلك أيضاً أدرك أنه لو تخلى عن ربه فلن يكون خليفة الله في أرضه ولن يعمرها.

وحواء التي ظلمتها التوراة وجعلتها سبب الخطيئة نراها في القرآن الكريم تشارك آدم استغفار الله والاعتراف بالذنب.

يقول الله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

ويقول تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: 37].

ويقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122].

أما في قصة تعليم الله آدم الأسماء فلا نجد كثير خلاف بين ما ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم. والخلاف المهم هنا هو أن الله سبحانه أراد أن يبرهن للملائكة أنهم عاجزون أمام آدم الذي خلقه، والذي كان مثار تساؤل من قبل الملائكة عن كيفية خلق من سيفسد في الأرض ويسفك الدماء فيها.

ترى التوراة أن الله علم آدم أسماء الأشياء التي سيستعملها ويتعرف عليها لأنها ترتبط بشؤون حياته. بينما يرى القرآن أن السبب في ذلك هو إظهار الله عجز الملائكة أمام ما خلق الله.

تقول التوراة: (وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها، وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها، فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره).

أما بالنسبة لما ورد في القرآن الكريم فقد اختلف العلماء في الأسماء فقال الضحاك عن ابن عباس، علمه الأسماء كلها التي تتعارف بها الناس: إنسان ودابة وأرض وسهل وجبل وفرس وحمار وأشباه ذلك.

وروي عن الحسن وقتادة أنهما قالا لما أعلم الله الملائكة بخلق آدم

واستخلافه وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم قال: إني أعلم ما لاتعلمون قالوا فيما بينهم ليخلق ربنا مايشاء فلن يخلق خلقاً إلا كنا أكرم على الله وأعلم منه. فلما خلقه وأمرهم بالسجود له علموا أنه خير منهم وأكرمُ على الله منهم فقالوا إن يك خيراً منا وأكرمَ على الله منا فنحن أعلم منه، فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا بأن علمه الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. إني لا أخلق أكرم منكم ولا أعلم منكم ففزعوا إلى التوبة، وقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. قالا وعلمه اسم كل شيء من هذه: الخيل والبغال والإبل والجن والوحش وكل شيء. وقال الربيع علم أسماء الملائكة خاصة[1].

أما مايتعلق بشأن الجنة التي أسكن آدم فيها فسنرى اختلافاً جوهرياً بين ما قالته التوراة وما قال به القرآن الكريم.

ففي التوراة ورد: (وغرس الرب الإله جنة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله، وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس اسم الواحد فيشون وهو المحيط بجميع أرض الحويلة حيث الذهب. وذهب تلك الأرض جيد هناك المقل وحجر الجزع. واسم النهر الثاني جيحون وهو المحيط بجميع أرض كوش واسم النهر الثالث حداقل وهو الجاري شرقي آشور. والنهر الرابع الفرات)، الإصحاح الثاني.

(فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها، فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة).

أما في القرآن الكريم فيقول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 35].

---

(1) ابن الأثير الكامل في التاريخ ص31 ـ 32.

وفي سورة الأعراف آية 19 : ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ .

أما بالنسبة لما ورد في التوراة فالجنة دنيوية وليست هي الجنة التي يدخلها الصالحون ، والواضح أنها تقع شرقا عند منابع دجلة والفرات .

يقول ابن حزم الظاهري الأندلسي : في هذا الكلام من الكذب وجوه فاحشة قاطعة بأنها من توليد كذاب مستهزئ .

أول ذلك : إخباره أن هذه الأربعة تفترق من النهر يخرج من جنة عدن التي أسكن الله فيها آدم : إذ خلقه فأخرجه منها إذ أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن أكلها وكل من له أدنى معرفة بالهيئة وبصفة الربع المعمور من الأرض الذي هو في شمال الأرض أو من مشى إلى مصر والشام والموصل يدري أن هذا كله كذب فاضح وأن مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمور ومصبه قبالة تنيس وقبالة الإسكندرية في آخر أعمال مصر في البحر الشامي وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال .

فأما جيحان فيخرج من بلاد الروم ويمر مابين الحصيصة وربضها المسمى (كفرتيا حتى يصب في البحر الشامي على أربعة أميال من الحصيصة ، وأما دجلة فمخرجها من أعين بقرب (خلاط) من عمل أرمينية بقرب آمد من ديار بكر ، وتصب مياهها في البطائح المشهورة بقرب البصرة في أرض العراق متاخمة أرض العرب . أما الفرات فمخرجه من بلاد الروم على يوم من قالي قلا قرب أرمينية ثم يخرج إلى ملطية ثم يأخذ على أعمال الرقة إلى العراق وينقسم إلى قسمين كلاهما يقع في دجلة)[1] .

أما بالنسبة للجنة التي كان فيها آدم وطرد منها (فإن العلماء اختلفوا أهي

---

(1) الفصل بين الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الأندلسي الجزء 1 ص203 ــ 204 دار الجيل بيروت .

جنة المأوى التي وعد الله المتقين أن يدخلوها في الآخرة أم هي جنة من جنات الأرض). والجمهور على أنها جنة المأوى أخذاً بظواهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وحديث مسلم عن أبي هريرة: «يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم»[1].

وقال فريق من العلماء إن الجنة التي سكنها آدم وحواء كانت من جنات الدنيا لأنه كلّف فيها ألا يأكل من الشجرة ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها ووسوس إليه ولغا آدم وعصى ربه فيها وهذا ينافي أنها جنة المأوى.

وقد حكي هذا القول عن أبي بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة في تفسيره وأفرد له مؤلفاً على حدة وحكاه عن أبي حنيفة الإمام وأصحابه رضي الله عنهم، ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي ابن خطيب الري في تفسيره عن أبي القاسم البلخي وأبي مسلم الأصفهاني، ونقله القرطبي في تفسيره عن المعتزلة والقدرية، وحاصل الخلاف فيها على أقوال:

1 ـ إنها جنة المأوى.

2 ـ إنها جنة سوى جنة المأوى اخترعها لآدم وحواء.

3 ـ إنها جنة من جنات الأرض.

4 ـ التوقف في أمرها.

يعترض القائلون بأن الجنة التي وجد آدم فيها كانت من جنات الدنيا فيقولون لو أن آدم كان في جنة الخلد فكيف يبحث عن شجرة الخلد ليأكل منها وما فائدة ذلك؟

---

(1) أخرجه مسلم رقم 195، والبغوي رقم 4347 ـ وانظر البداية والنهاية 1/ 75، وقصص الأنبياء لابن كثير.

والآخرون يعارضون بالمثل قائلين إذا كان آدم في جنة من جنات الدنيا كما تقولون فكيف يبحث عن شجرة الخلد في دار لا خلود فيها؟

وقال بعض المفسرين إن الجنة التي كان فيها آدم هي جنة اخترعها الله في السماء فليست دار الخلد ولا جنة من جنان الدنيا[1].

أما في ظاهر اللفظ فإن آدم وحواء قد أمرا أن يهبطا. والهبوط يكون من الفضاء. نقول هبطت الطائرة وهبط الطائر فلو كانت الجنة من جنان الأرض نقول نزلا على افتراض أنها في مكان مرتفع من الأرض. فالجنة في السماء غير أننا لانجزم أهي جنة المأوى أم جنة خلقها الله لآدم وزوجته خصيصاً حتى يتم أمره وامتحانه لآدم على الأرض.

وقد مر معنا كيف وصفت التوراة تلك الجنة والأنهر التي تغذيها وليس في التوراة وصف آخر لجنة الخلد التي أعدها الله للمتقين المؤمنين، بينما في القرآن الكريم وردت آيات كثيرة تتحدث عن الجنة ووصفتها وصفاً تفصيلياً.

ولنا هذه الوقفة مع تلك الآيات الكريمة التي تحدثت عن الجنة.

ففي سورة الفجر الآية 27 ـ 30: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾.

فالجنة هنا مكان عودة النفس المطمئنة المؤمنة.

وفي سورة البروج الآية 11: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾. فالجنة تجري من تحتها الأنهار وهي للذين آمنوا وعملوا الصالحات حصيلة وجزاء.

وفي سورة ق الآية 31 ـ 35: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ

(1) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 35 ـ 36.

يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ .

فالجنة وقف على المتقين وهي وعد الرحمن الذي وعده لهم في الحياة الدنيا، إنها لكل عائد إلى ربه ودينه ولكل من خافه وجاءه بقلب نظيف. إنها دار الخلود وفيها ما يحلو للمؤمنين.

وفي سورة ص الآية 49 ــ 50 : ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ .

فأبواب الجنة مفتوحة للمتقين مغلقة في وجه الكافرين.

وفي سورة مريم الآية 61 ــ 62 : ﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا ۖ ﴾ .

فالجنة وعد الرحمن وهي المكان الذي لا لغو فيه بل حديث السلام والمحبة.

وفي سورة يونس الآية 26 : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾ .

ففي الجنة لا فتور ولا ذل بل خلود دائم ونعيم.

وفي سورة الحجر الآية 45 ــ 46 : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ .

فدخول الجنة يتم بسلام وأمان فلا خوف ولا قلق ولا رعب.

وفي سورة الزمر الآية 73 : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ ﴾ .

يدخل المؤمنون الجنة جماعات تحفهم الملائكة بسلام.

وفي سورة الزخرف الآية 70 : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ .

فالسعادة والحبور يعمان المؤمنين الذين يدخلون الجنة.

وفي سورة الذاريات الآية 15 : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ .

وفي سورة الكهف الآية 31 : ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ .

وفي سورة النحل الآية 32 : ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .

وفي سورة السجدة الآية 19 : ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ .

وفي سورة البقرة الآية 25 : ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ .

إذاً فالجنة دار المؤمنين، وهذه غاية الغايات في آيات القرآن الكريم. فيها الراحة النفسية وفيها ما يشاء المؤمن من متع. ولم يرد في التوراة أنها هكذا، وذلك يعود إلى عدم إيمان اليهود بيوم البعث والآخرة وهذا سنعود إليه في صفحات قادمة. بعد ذلك كله نصل إلى سؤال لابد أن يطرح.

هل كان آدم نبياً ورسولاً أو أنه كان أول مخلوق بشري في هذه الأرض؟

لم يذكر القرآن الكريم لفظ النبوة بشأن آدم مثلما ذكرها بشأن الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم. ولكن ذكر أنه خاطبه بلا واسطة وشرع له في ذلك الخطاب فأمره ونهاه وأحل له وحرم عليه بدون أن يرسل إليه رسولاً. فمن هذه الناحية نقول إنه نبي وأما رسالته فالأمر فيها مختلف فيه وشأننا أن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى[1].

لكن بعض السائلين يسأل إذا كان آدم نبياً فكيف عصى والأنبياء معصومون من المعصية، والجواب منه حسب رأي عبد الوهاب النجار أن يكون ذلك منه على سبيل النسيان وإنما سمي ما أتاه خطيئة ومعصية، وخطيئته كانت قبل النبوة

---

(1) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 38.

المستلزمة للعصمة من المعصية[1].

والذي نميل إليه أن الله سبحانه عندما خلق آدم في الجنة لم يكن نبياً ولا حاجة لنبوته على الرغم من وجود الأوامر والنواهي الربانية، إنما تبرز نبوته من خلال تفحصنا للآية الكريمة التي تقول: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122].

والآية التي تقول: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

فخطيئة آدم في الجنة هي خطيئة إنسان أي إنسان، ولا حاجة لنبوة آدم في الجنة لأنه سيكون معصوماً عن الخطأ وهذا سيخالف ما أراده الله من استخلاف آدم في الأرض، ثم عندما تقول الآية الكريمة فتلقى آدم من ربه كلمات، فإنه تلقاها في الأرض بعد أن أخرجه الله من الجنة وبعد أن استغفر آدم لذنبه وقبل الله سبحانه توبته فتاب عليه ثم اصطفاه ـ اجتباه ـ ومعنى اجتباه لنفسه واختيار الله بعض البشر يبدأ بالأنبياء لأنهم المصطفون أولاً.

وإذا عدنا إلى قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات يوحي بأن التلقي لم يكن مباشرة من الله لآدم إنما كان عن طريق الوحي. وقد تحدث الله سبحانه مع آدم في الجنة دون وحي لأنه لاحاجة للوحي هناك. بينما عندما هبط آدم في الأرض وبدأ حياته الأرضية كان لابد أن يتلقى بعض الكلمات الموجهة عن طريق جبريل، وباعتبار أن الله سبحانه سيستخلفه في الأرض كان لابد أن يبدأ سلسلة حياته على الأرض بالدعوة للخير وليس بالدعوة للشر ليكون الخير أسبق وهذه حكمة إلهية غير خافية، ولو أن الحياة البشرية بدأت بالشر لكان آدم أول شرير أو أول عاص على وجهها. فلذلك بدأ آدم حياته في الأرض بالنبوة، ورسالته هي تلك الكلمات التي تلقاها من الله ليبلغها لأولاده القادمين حتى لايكونوا أشراراً كافرين بالله.

إذاً آدم نبي مرسل ورسالته الدعوة الأولى إلى التوحيد. لكن ذلك لايمنع أن نقول إنه ليس من الأنبياء ذوي العزم. فقد قالت الآية الكريمة في سورة

---

(1) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص 39.

طه 115 : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ ، وخطيئته أنه نسي وهذا ماجعله نبياً ولكن من دون عزم.

صورة آدم في التوارة والقرآن:

تشير التوراة في أكثر من مكان إلى أن الله خلق آدم على صورته، وبعض المفسرين قالوا ليس في ذلك شيء من الغرابة إذ المعنى أن الله خلق آدم على صورة آدم نفسه الذي نراه ونعهده، وليست الهاء تعود إلى الله بل تعود لآدم، وبعضهم قال إن الهاء عائدة لله وهذا من التجديف التوراتي الذي خلق مقولة شعب الله المختار وأن اليهودي مخلوق من روح الله المقدس ذاته. يقول سفر التكوين (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا).

(فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم) 26 ـ 27 ـ 28.

يقول ابن حزم: (ولو لم يقل إلا كصورتنا لكان له وجه حسن ومعنى صحيح وهو أن نضيف الصورة إلى الله تعالى إضافة الملك والخلق كما تقول هذا عمل الله وتقول للقرد والقبيح والحسن هذه صورة الله أي تصوير الله والصفة التي انفرد بملكها وخلقها. لكن قوله كشبهنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل وأوجب شبه آدم لله عز وجل.

وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل إذ الشبه والمثل معناهما واحد وحاشا لله أن يكون له مثل أو شبيه)[1].

وكلام ابن حزم واضح في الرد على اليهود. إذ أنهم يرجون من ذلك أن يكون آدم ونسله من الذين انتقاهم الله حتى وصل انتقاؤه لأجداد العبرانيين أن يكونوا على صورة الله وشبهه إذ أنهم وحسب اعتقادهم خير من بقية بني البشر.

---

(1) الفصل بين الملل والأهواء والنحل. ابن حزم الأندلسي صفحة 202 المجلد الأول.

ولعل كلامهم هذا يقودنا إلى قول التوراة (هذا آدم قد صار كواحد منا عارفاً الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها). التكوين الإصحاح 3: 22 ـ 23.

فـ (حكايتهم عند الله تعالى أنه قال هذا آدم صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد. ولقد أدى هذا القول الخبيث المفتري كثيراً من خواص اليهود إلى الاعتقاد أن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقاً خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلهاً من جملة الآلهة نعوذ بالله من هذا الكفر الأحمق)[1].

أما في القرآن الكريم فتذكر الآيات الكريمة أن الله سبحانه خلق آدم من تراب لكنّ نسله خلق من ماء مهين.

ففي سورة السجدة الآية 7 ـ 8 ـ 9 يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ﴾.

وفي سورة النور يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِى عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِى عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِى عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [النور: 45].

وفي سورة المؤمنون 12 ـ 13ـ 14: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِى قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾.

وصورة آدم حسب ما قالته التوراة جعلت كثيراً من الباحثين اليهود والغربيين

---

(1) الفصل بين الملل والأهواء والنحل. ابن حزم الأندلسي صفحة 207 المجلد الأول.

يرفضون مقولات التوراة ويتهمونها بالتحريف تارة ومجافاة المنطق تارة أخرى.

فأقدم فلاسفة اليهود وهو فيلون الإسكندري لم يستطع أن يقبل الصفات والأنباء التي أسندت إلى الله في كتب اليهود بدلالتها الحرفية ونصوصها الظاهرة. وكان مبدأ فيلون ومذهبه مبدأ ثورة دينية في بني إسرائيل فتابعه أناس في التأويل والتفسير وأحجم أناس عن كل تأويل وتفسير مشفقين على التراث القديم[1].

ويقول القصّاص اليهودي (شو لم آش Sho Lem Asch) في كتابه ما أعتقد، خلق الله الإنسان على صورته وعاد الإنسان فخلق الله على صورته وتمثله في طبعه ودرج من أقدم الأزمان أن يزدلف إلى الله ويصفه بما هو أجمل الصفات وأفضلها في نظره. وكل جيل من أجيال البشر يرفع إلى الله خلاصه ثمرات عصره. وكل جيل من أجيال البشر قد صور الله على الصورة المثلى التي يستمدها من خلائقه ومزاياه. ومن هنا أصبحت الربوبية أوجاً تلتقي فيه أفضل الفضائل التي تتخيلها الشعوب)[1].

ماذا يقول القرآن الكريم في خلق الإنسان؟

كثيرة هي الآيات الكريمة التي تشير صراحة إلى خلق آدم ومن ثم إلى خلق الإنسان بشكل عام وإذا تتبعنا التسلسل القرآني في هذا الخلق سنجد أن الله سبحانه خلق آدم أولاً ثم خلق زوجته ثانياً وبعد الهبوط إلى الأرض بدأ التناسل البشري حيث تبدأ سيرة أبناء آدم وهكذا حتى يومنا هذا.

فآدم خلقه الله من تراب كما نصت بذلك الآيات صراحة.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: 26].

يقول تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: 71].

---

(1) عباس العقاد، الله، صفحة 165 ـ 166.

(1) عباس العقاد، الله، صفحة 170.

وفي سورة الإسراء 61 : ﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴾ .

وفي سورة ص 76 : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾ .

ويقول تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [الحج : 5].

ويقول تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الروم : 20] .

فأصل الجسد البشري طين وجاءت هذه معجزة في حد ذاتها ، ولم يترك الله سبحانه هذا الخلق لغزاً محيراً فالذي يشك فيه يعود إلى القرآن الكريم ليرى أن آياته حاججت العقل البشري بموضوعية وعلم ليدرك بنو البشر أن الجسد مخلوق من طين حقاً .

تجيبنا آيات الكتاب المبين أن آدم خلق من تراب وعندما ركب فيه الروح والنفس والعقل طور خلقه بحيث أصبح الإنسان نفسه وسيلة من وسائل خلق غيره . وبمعنى آخر إن خلق آدم لن يتكرر إلا لمعجزة وأصبح الرجل والأنثى سببين من أسباب الإنجاب وزيادة الخلق .

يقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴾ [السجدة : 7 ـ 8] .

وتعني الآية ما قلناه قبلها . لقد كانت بداية الخلق من طين أما نسل آدم الذي يليه فقد خلقه الله من سلالة من ماء مهين وهذه السلالة توضحها آيات أخريات .

يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : 12 ـ 14] .

فسلالة من طين هي التراب ـ الصلصال ـ الحمأ المسنون (الفخار) .

وسلالة من ماء مهين هي نطفة ـ علقة مضغة (عظام) .

والسلالتان تتطابقان من حيث الفاعلية.

التراب في السلسلة الأولى هو الأصل في عملية الخلق.

النطفة في السلسلة الثانية هي الأصل في عملية الخلق.

التراب يعجن فيصبح صلصالاً أي طيناً طرياً ثم يابساً كالفخار.

النطفة تلتقي بالبويضة فتصبح علقة أي دماً متجمداً.

الصلصال بعملية الحرق يصبح أسود اللون ومصوراً صورة إنسان أجوف. والعلقة تنتقل بعملية الخلق إلى مضغة وهي قطعة أشبه باللحم وهي على قدر ما يمضغ، الفخار آخر عملية الخلق الأولى لآدم.

والعظام آخر عملية الخلق الثانية أي بعد آدم.

فإذا ما اكتست العظام لحماً تكوّن خلق الجنين في رحم أمه.

وإذا ما نفخ الله الروح في الفخار صار إنساناً يتنفس ويحس ويشم. وقد جاء في الآيات الكريمة قوله تعالى (فسويته) وهذا يعني أن لا خلق بدون تسوية ولا سجود من قبل الملائكة لآدم دون تسوية أي دون تشكيل لهذا الطين ووضع الروح فيه. وبدون تسوية يبقى الشكل لا ملامح له ولا سمات ولا وضوح ولا تقسيمات لليد والوجه وكل جزئيات الجسم.

وقد أكدت الآيات القرآنية الكريمة عمليتي الخلق الأولى والثانية في أكثر من مكان وأكثر من سياق وفي مجملها كانت حجة على الإنسان، على تكبره، على تفاخره وغروره. يقول تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: 5 ـ 7] فهذا الخلق يعود إلى الأصل التناسلي وليس إلى أصل خلق آدم أول البشر).

هل آدم هو أول البشر ولم يكن أحد قبله من جنسه؟

طرح هذا السؤال علماؤنا وعلماء الغرب وخرجت بذلك نظريات متناقضة حول ذلك وأول ما طرح مشكلة حول هذا التساؤل التواريخ التوراتية التي وردت في سفر التكوين وهي بمجملها تناقض ما أتت به نظريات العلم الحديث ولاسيما النظريات الجيولوجية وعلم الآثار.

وخرجت لنا نظرية التطور والارتقاء التي أظهرها العالم اليهودي داروين وقد رأى بعض العلماء العرب رأيه وإن اختلفوا معه في بعض القضايا الهامة.

وقد أجمع جمهور من العلماء المسلمين على القول إن آدم هو أول مخلوق بشري، واستندوا بذلك على تفسير بعض الآيات القرآنية المشيرة لخلق آدم.

أما التوراة فإنها تبدأ سلسلة تاريخية وتحددها، وسفر التكوين يقدم في أنسابه بالإصحاحات 4 ـ 5 و 11 و 21 و 25 معطيات غاية في الدقة عن كل أسلاف إبراهيم من صلب مباشر منذ آدم. ولما كان سفر التكوين يعطي مدة حياة كل منهم وعمر الأب عند ميلاد الابن فإنه يسمح بيسر بتحديد تواريخ ميلاد ووفاة كل سلف بالنسبة لخلق آدم. . فتاريخ الوفاة بعد خلق آدم هي 930 أي أن عمره بالتمام 930 عاماً والفارق بينه وبين إبراهيم هو 2123 عاماً والفارق بين إبراهيم وعيسى عليهما السلام يتراوح بين 1950 عاماً و 1800 عام فعام 1975م يتفق مع عام 5736 منذ خلق العالم. إذاً فالإنسان الذي يجيء خلقه بعد خلق العالم بعدة أيام قديم نفس القدم الذي يحصيه التقويم اليهودي لخلق آدم[1].

ومعلوم أن الله خلق آدم في اليوم السادس بعد أن خلق السموات والأرض والحيوانات والأنوار. فهل حقاً أن عمر العالم قبل خلق آدم بقليل. هل حقاً أن عمر الأرض والسماء والشمس والقمر وما بينهما لا يتجاوز الستة آلاف سنة؟ إذا كان آدم خلق في 5755 حسب عام 1994 ـ وهذا هو التقويم العبري ـ فهل كان خلق الأكوان قبله

---

(1) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم صفحة 47 ـ 48.

بقليل على اعتبار أن آدم خلق في اليوم السادس من أيام الخلق الستة؟.

يقول موريس بوكاي (أما فيما يخص تاريخ ظهور الإنسان على الأرض فالمعطيات العلمية الحديثة تسمح بتعريفه بأبعد من حد دقيق فقط. نستطيع أن نقتنع أن الإنسان كان يوجد على الأرض ولكن لا أحد يستطيع أن يحدد بشكل دقيق تاريخ ظهوره ومع ذلك فيمكن أن نؤكد اليوم وجود أطلال لإنسانية مفكرة وعاملة ويُحسب قدمها بوحدات تتكون من عشرات من ألوف السنين.

يعود هذا التاريخ التقريبي على نموذج إنسان ما قبل التاريخ الذي اعتبر أكثر النماذج قرباً للنموذج Neoanthropiens (إنسان كرومانيون) ولا شك أن هناك اكتشافات أخرى لبقايا يبدو أنها إنسانية قد تمت في نقاط عديدة من الأرض وهي تخص أنماطاً أقل تطوراً. ويقدر حجم قدمها بوحدات من مئات ألوف السنين ولكن هل هم حقاً بشر حقيقيون وهذا ما يسمح بوضع أوائل البشر أبعد بكثير من العصر الذي يحدده سفر التكوين لآدم هناك إذاً استحالة اتفاق واضحة بين ما يمكن استنتاجه من المعطيات الحسابية لسفر التكوين الخاصة بظهور الإنسان على الأرض وبين أكثر المعارف تأسساً في عصرنا)[1].

أما نظرية التطور والارتقاء فملخصها أن أصل الإنسان قرد. وقد ظهر رأي أصحاب هذه النظرية في أوروبا وقد أشاعوا هذا الرأي ودافعوا عنه. وهذه النظرية لم تزل موضع بحث للأخذ والرد ولها أنصار مؤيدون كما أن لها خصوماً يبطلونها. والقرآن الكريم وضّح بنصوصه الظاهرة على أن أصل الإنسان لم يكن قرداً تحول شيئاً فشيئاً، لكن نظرية داروين لم تبلغ من المتانة هذا الحد الذي يجعلها أمراً قطعياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هل يتصور أن الغوريلا وسائر الفصيلة القردية تهب لعمران الأرض كما عمرها الإنسان فيما لو أمرت؟[2].

---

(1) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل صفحة 51.

(2) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء صفحة 43.

وقد تأثر بنظرية داروين كثير من العلماء والباحثين العرب أمثال الدكتور مصطفى محمود. غير أنهم استندوا في ذلك على تفسيرات لبعض آيات القرآن الكريم بشكل مغاير لما عهدته التفاسير، فهذا الفريق الذي يرجح أن آدم ليس أول جنسه يستأنسون لذلك بقول الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾. ويقول إن الملائكة لم يقولوا ذلك إلا لرؤيتهم من تقدموا آدم من الخلق الذين كانوا على صورته فقد فعلوا ذلك. وإنما آدم كان خليفة عن بشر كانوا من جنسه وبادوا. والبعض الآخر من هذا الفريق فسَّر قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾. أنها تعني أن آدم هو الشكل الأخير لمجموعة من المخلوقات التي سبقته.

وآخر من قال في هذا الشأن الباحث عبد الرحمن غنيم في كتابه مذكرة البحث عن آدم (فيرى أن الإنسان تطور من مضغة إلى عروس بحر بأشكال متعددة فإنسان يمشي على أربع فمعتدل القامة ثم جاء طور آدم الذي أنشئ من ذرية قوم آخرين).

ويقول (هناك إذن نظرية نشوء وتطور قرآنية هي غير نظرية النشوء والتطور الداروينية لكنها تلتقي معها في إطار عام. ومن بين الآيات المرجحة لسلامة ما ذهبنا إليه أن انفراز التويتات الأولى (العلق) في الطين لتتحول إلى أجنة (مضغات مخلقة وغير مخلقة منها الذكر والأنثى وهي النسل) يتفق مع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾.

ومما يدلل على تطور شكل الإنسان على مراحل متعددة قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ وقوله: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[1].

فهو يرى أن الإنسان تطور وارتقى ولكن ليس عن قرد إنما عن عروس بحر تطورت عبر ملايين السنين إلى أن خرجت إلى البر فأصبحت إنساناً تطور أيضاً حتى وصل إلى ما وصل إليه آدم.

---

(1) عبد الرحمن غنيم. مذكرة البحث عن آدم. ص85-86. دار الجليل، دمشق 1992، ط1.

إن كل هذه التقوّلات تبقى في إطار التخمين أو في إطار النظرية مهما بلغت من التفصيل والشرح ورأينا أن آدم النبي هو أول مخلوق بشري لا ندري متى خلقه الله لأن القرآن الكريم لم يحدد تاريخ خلقه. وهذه مسألة الترك فيها أفضل من البحث لأن القرائن غير متوفرة ولم يصل الإنسان أي إنسان إلى الجزم بها.

تبقى مسألة هامة جداً وهي خلق امرأة آدم، هل حقاً خلقها الله من ضلع آدم أم خلقها على شاكلته إنسانة متكاملة؟.

أما النص التوراتي فيرى أن الله جعل آدم في سبات وأخذ ضلعاً من أضلاعه وملأ مكانه لحماً وخلق حواء من هذا الضلع يقول سفر التكوين (فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة فأحضرها إلى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي... ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم كل حي).

أما في القرآن الكريم فإن عملية خلق امرأة آدم لم يشر لها من قريب أو بعيد، حيث نجد أنفسنا أمام الآية القرآنية التي تقول: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

وقد تكرر ذلك في سورة البقرة وفي سورة الأعراف. أما من أين ظهرت امرأة آدم فهذا لم يشر له القرآن الكريم. كما لم يشر إلى أن اسمها هو حواء، وقد وجدنا هذا الاسم في التوراة دون القرآن. وقد تناول علماؤنا هذه المسألة ولهم فيها آراء متعددة.

فالشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء يقول:

إن الله تعالى قال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ هذه العبارة محتملة لأن يكون الله قد أخذ ضلعاً من أضلاع آدم وخلق من ذلك الضلع حواء. وقد قال بذلك كثير من العلماء. ومن الجائز أن يكون الله خلقها كما خلق آدم وأن يكون قوله تعالى ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من جنسها وعلى صورتها وحينئذ تكون المادة التي أخذت

منها المرأة غير متعرض لها والرأي الأول النفس إليه أميل[1].

ويدافع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عن الرأي القائل بأن حواء خلقت من ضلع آدم مستنداً على ما ورد من أحاديث صحيحة قالها رسول الله ﷺ لا سيما الحديث الذي يقول «استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه» وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي[2].

فإذا صحت أحاديث الرسول ﷺ أن حواء خلقت من ضلع آدم فإن التسليم بذلك هو من صلب إيمان المسلم لأن السنة المباركة المتواترة تلزم المسلم الأخذ بها والتسليم بها.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإننا نرى أن ليس بالأمر الصعب على الله أن تخلق حواء من ضلع آدم. وهذه تدخل ضمن المعجزات الإلهية. فالمعجزة تخترق قانون البشر ونواميس الحياة المادية فلها نواميس خاصة وقوانين إلهية ليست خاضعة لمقياس مادي بشري. فالله خلق آدم من تراب وهي معجزة إلهية وخلق عيسى عليه السلام من دون أب وهي معجزة أخرى. وخلقُ حواء من ضلع آدم ليست سوى معجزة من معجزات الخلق الإلهية التي تفوق تصور البشر وعقولهم.

وتستوقفنا آية كريمة في سورة آل عمران وهي: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: 59].

فبعض أصحاب نظرية النشوء والارتقاء وبعض مؤيديها من الباحثين العرب قالوا إن عيسى خلق من رحم أمه فيكون آدم كذلك غير أن الأصل فيهما هو التراب.

بينما يرى بعض الباحثين المسلمين أن الآية الكريمة أرادت أن تقول إن عيسى يختلف عن سائر البشر لم يخلق من أب وإنما كان خلقه كخلق آدم فمثله سبحانه

---

(1) عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء صفحة 35.

(2) رواه البخاري 9/ 218، ومسلم رقم 1468 والترمذي 1188.

وتعالى بآدم. ومن هذا التمثيل نفهم أن آدم كانت خلقته من غير أب أي (دفعية) وأيضاً لم تكن خلقة تطورية إذ لو كانت خلقة آدم تطورية عندها يجب أن يكون له أب ولو في سلم أنزل منه من حيث درجة التطور والتكامل. وعلى هذا الأساس وجب أن يكون لعيسى أب أيضاً تولّد منه تولّداً عضوياً وهو خلاف ما تصرح به وتريده الآية، لأن هذه الآية جاءت لتنفي شبهة الزنا والتهمة التي كان قد ادعاها اليهود، كما تنفي شبهة كونه ابن الله وهكذا لا يصح هذا التشبيه إلا إذا فرض أن آدم لم يكن له أب، وأما من حيث الأم فإن الآية لا تريد تشبيه آدم بعيسى بل عيسى بآدم ولا كلام في أن آدم إذا لم يكن مخلوقاً من خلال نظرية التطور من حيث الأب لم يكن مخلوقاً كذلك من حيث الأم أيضاً لأنه لو كانت نظرية التطور صادقة في آدم لكانت صادقة أباً وأماً. لكن الآية لا تريد أن تشبه آدم بعيسى بل تريد أن تشبه عيسى بآدم. والسؤال كان عن أب عيسى لا عن أمه[1].

هل حقاً لعن الله الأرض؟

يرد في سفر التكوين: (وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك) التكوين 17:3.

بينما في القرآن الكريم ترد آيات كثيرة لا يلعن الله فيها لا أرضاً ولا كواكب.

ففي سورة البقرة يقول تعالى في الآية 22: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾.

وفي سورة طه 53: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾.

وفي سورة الأنبياء 56: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾.

---

(1) السيد محمود الهاشمي. الإنسان في القرآن، مجلة الثقافة الإسلامية

وفي سورة الأنبياء 31 : ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ .

وفي سورة المؤمنون 18 : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ .

وفي سورة النمل 61 : ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ .

وفي سورة السجدة 7 : ﴿ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ .

وآيات كثيرة غيرها تتحدث عن خلق الله للأرض وتسخيرها لبني البشر والاستفادة من ترابها وثمرها ومياهها الجوفية والظاهرة. كل ذلك ليكون سبباً في استمرار الحياة عليها. فأي مبرر منطقي يجعل رب اليهود يلعن الأرض؟ لأي سبب تلعن الأرض من قبل الرب خالقها وهي التي جعلها للإنسان يستخلفها ويقيم فيها العدل والحياة والبقاء والتعارف.

فالذي يجعل سفر التكوين التوراتي يلعن الأرض هو سبب أسطوري وبمعنى آخر فإن هذه اللعنة مقتبسة من تراث البابليين الأسطوري وهؤلاء سبقوا العبرانيين زمنياً في تواجدهم على وجه الأرض.

ولدا آدم في التوراة والقرآن:

بعد أن استوضحنا ما في التوراة وأدركنا ماذا جاء في القرآن الكريم من حديث عن آدم عليه السلام يسوقنا البحث حسب التسلسل البشري إلى دراسة ما جاء في التوراة والقرآن الكريم من حديث عن ولدي آدم أو عن نسله.

وفي الخطوط العامة فإن ما جاء فيهما يكاد يتوافق، سوى أن التوراة سمتهما باسمين هما قايين وهابيل.

غير أن الخلاف يحصل في التفاصيل والغايات وهذا ما سنستعرضه في السطور القادمة.

تقول التوراة في سفر التكوين: (وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين، وقالت اقتنيت رجلاً من عندالرب وعادت فولدت أخاه هابيل. وكان هابيل راعياً للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض. وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها. فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه. فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك إن أحسنت أفلا رفعٌ وإن لم تحسن فعند الباب خطيّة رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها) 4: 1ـ7.

(وكلم قايين هابيل أخاه وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله فقال الرب لقايين أين هابيل أخوك فقال لا أعلم أحارسٌ أنا لأخي فقال ماذا فعلت. صوت دم أخيك صارخ إليّ من الأرض فالآن ملعون أنت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك. متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها. تائهاً وهارباً تكون في الأرض. فقال قايين للرب ذنبي أعظم من أن يحتمل. إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض ومن وجهك أختفي وأكون تائهاً وهارباً في الأرض، فيكون كل من وجدني يقتلني. فقال له الرب لذلك كل من قتل قايين فسبعة أضعاف ينتقم منه. وجعل الرب لقايين علامة لكي لايقتله كل من وجده فخرج قايين من لدن الرب وسكن في أرض نود شرقي عدن) تكوين 4: 8ـ16.

وقد ذكرت قصة ابني آدم في القرآن الكريم دون أن يذكر فيها اسم كل منهما.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ

يُوَارِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ [المائدة : 27 ـ 31].

ذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة أن آدم كان يزوج ذكر بطن بأنثى الآخر وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل وكان أكبر من هابيل وأخت قابيل أحسن. فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى. فأمرهما أن يقربا قرباناً. فقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب غنم. وقرب قابيل حزمة من زرع رديء زرعه فنزلت نار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل. فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي فقال إنما يتقبل الله من المتقين[1].

ففي رواية التوراة ورواية القرآن تشابه كبير في قصة ولدي آدم من حيث:

1 ـ وجود اثنين من أولاد آدم. سمتهما التوراة ولم يسمهما القرآن الكريم.

2 ـ قصة القربان الذي قدمه كل منهما.

3 ـ تقبل الله قربان هابيل ورفضه لقربان قايين.

4 ـ قتل قايين لهابيل.

أما الاختلافات فتكمن في:

1 ـ في التوراة شخصية هابيل غائبة إلاّ في الجانب السلبي. الانفعالي وليس الفاعل إذ أننا لا نرى حواراً بينهما تظهر من خلاله شخصية هابيل. بينما نرى في القرآن الكريم أن هابيل رجل عاقل مؤمن. لأنه قال لقايين إنك إن نويت على قتلي فلن أنوي أن أقتلك وإن لم يتقبل منك الله فإنه يتقبل من المتقين وهذا يعني تماماً أن هابيل كان تقياً وأن قايين لم يكن كذلك.

2 ـ لم نعثر على قصة الغراب في التوراة بينما نجدها في القرآن الكريم وهي في

---

(1) ابن كثير البداية والنهاية مجلد 2/ 39 وتاريخ الطبري 1/ 137.

السياق العام تأتي لتكون شاهداً لقايين وتعليماً له كيف يدفن جثة أخيه ويواريها. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن دفن الميت تحت التراب هو الطريقة المثلى في دفن جثة من فقد الحياة وكأن ذلك جاء تعليماً لبني البشر كي يكون دفن الجثث تحت التراب الطريقة الصحيحة والشرعية وليس حرق الجثة مثلاً أو تحنيطها.

ونستطيع أن نقول إن دفن الميت سنة سنت منذ زمن هابيل وسار عليها أكثر بني البشر وأتباع الديانات الكبرى في العالم الأرضي.

وقد ذكر الثعلبي النيسابوري قصة ابني آدم في كتابه المسمى قصص الأنبياء في الصفحة 43 ـ 47 وتحدث فيها بعض ما نسبه إلى ابن عباس ولم ينسب إلى رسول الله ﷺ ولا ندري صحة ما جاء فيه[1] ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن ولدي آدم لأننا لا نجد وجهاً للكلام الزائد على ما جاء في التوراة والقرآن الكريم.

نوح والطوفان بين التوراة والقرآن:

ونحن نقلب صفحات التوراة نجد أن الحديث عن مجريات الأحداث بعد آدم يأخذ منحى أوسع حيث يشعر القارئ أن الزمن الذي يتقدم يقدم لنا شخصياته وأحداثه بشكل يقترب من الثوابت.

وفي القرآن الكريم تبرز الآيات الكريمة قصص الأنبياء والعقائد بشكل أكثر كلما أخذت أحداث التاريخ تكثر وتتعقد وتتوضح.

وقصة نوح من القصص التي فصلت بشكل واسع بحيث يستطيع المرء أن يناقش قضايا كثيرة ويقارن أحداثها ويناقشها كما وردت في التوراة وكما وردت في القرآن الكريم.

---

(1) ارجع إلى كتاب قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس لأبي اسحق الثعلبي النيسابوري، صفحة 43ـ47، ففيه تفصيلات لا ندري مدى صحتها.

يرد في سفر التكوين الإصحاح الخامس 28 (وعاش لامك مئة واثنتين وثمانين سنة وولد ابنا دعا اسمه نوحاً قائلاً هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض التي لعنها الرب).

(وكان نوح ابن خمس مئة سنة وولد نوح ساماً وحاماً ويافث).

وفي الإصحاح السادس: (فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب).

(وكان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله. وسار نوح مع الله وولد نوح ثلاثة بنين ساماً وحاماً ويافث وفسدت الأرض أمام الله وامتلأت الأرض ظلماً).

(فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم ها أنا مهلكهم مع الأرض اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفرٍ).

(فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح).

(ولكن أقيم عهدي معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك).

وفي الإصحاح السابع: (في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك).

(فمات كل جسد كان يدب على الأرض فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض).

وفي الإصحاح الثامن: (ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التي معه في الفلك وأجاز الله ريحاً على الأرض فهدأت المياه).

(وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت).

وفي الإصحاح التاسع : (وبارك الله نوحاً وبنيه).

(وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً ها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم، وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساماً وحاماً ويافث وحام هو أبو كنعان هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض).

(وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته. وقال مبارك إله سام وليكن كنعان عبداً لهم وليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم).

(وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة، فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ومات).

وفي القرآن الكريم ترد قصة نوح في العديد من السور القرآنية الكريمة، وقد خصّ الله سبحانه سورة في القرآن الكريم باسم نوح.

ففي سورة نوح: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح : 1].

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ [نوح : 21].

﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح : 23].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح : 26].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح : 28].

وفي سورة الأنبياء: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: 76ـ 77].

وفي الأعراف 59: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الأعراف: 64].

وفي سورة يونس 73: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

وفي سورة هود 32: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود: 36ـ 37].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ

ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [هود: 40 ـ 49].

وهناك آيات قرآنية تحدثت عن النبي نوح عليه السلام ولكن الآيات التي وردت في سورة هود توضح مجرى الأحداث مع النبي نوح عليه السلام. وتربط مقدمة القصة بنتائجها، فهي أوضح صورة لما جرى معه في ذاك الزمن الغابر الذي لم يشر إليه القرآن الكريم بالتحديد.

ونبين الآن أوجه التوافق والاختلاف بين ما ورد في التوراة وما ورد في القرآن الكريم:

النص التوراتي:

1 ـ أولاد نوح سام وحام ويافث.

2 ـ الرب يندم على خلقه للإنسان وجعله في الأرض ثم نيّة انتقامه من الإنسان والحيوان عليها.

3 ـ نوح رجل بارٌّ لله والأرض تمتلئ شروراً وفساداً.

4 ـ قصة الطوفان وإقامة عهد الله مع نوح وأبنائه وامرأته ونساء أولاده.

5 ـ الطوفان وموت كل جسد حي على وجه الأرض.

6 ـ شفقة الرب على ما فعل وتراجعه عن لعنة الأرض وإفناء البشرية.

7 ـ ذكر كنعان على أنه ابن حام وقصة شرب نوح للخمر وسكره وتعرّيه ومن ثم

لعنته على كنعان.

8 ـ عمر نوح.

أما القرآن الكريم فإنه يورد قصة نوح منتشرة في عدد من السور والآيات وإذا رتبناها حسب التسلسل نجد مايلي:

1 ـ أرسل الله نوحاً إلى قومه منذراً ناهياً عن عبادة الأصنام، تكذيب قومه له وجدالهم معه.

2 ـ إيمان القلة من الناس بما أوحي إلى نوح دون تحديد لأولاده أو غيرهم.

3 ـ الأمر بصناعة الفلك تحت رعاية الله ونظره والأمر بحمل زوجين من كل صنف من الحيوانات.

4 ـ ابن نوح الذي كفر بدين أبيه وغرقه ومحاولة نوح إنقاذه...

5 ـ انتهاء الطوفان.

6 ـ إخبار الله لنوح بأن من حملهم معه سيكون فيهم الصالح والكافر.

7 ـ خطاب الله للرسول محمد ﷺ بأن ذلك من أنباء الغيب (قصة نوح) فخذ العبرة منها واصبر على إيذاء المشركين لك فإن العاقبة الرابحة للصابرين المتقين.

يتفق القرآن مع التوراة بأن نوحاً هو النبي المرتبط اسمه بالطوفان. ويتفقان أن الطوفان قد حدث وما عدا ذلك فالأمور تختلف وتحتاج لتحليل ومناقشة وقد كنّت التوراة بقولها، إلا أن نوحاً وجد نعمة في عيني الرب ـ عن كونه نبياً وقد ورد ذكر ذلك متكرراً مع عدد كبير من أنبياء التوراة.

تورد التوراة سلسلة بشرية لتصل إلى لامك وهو أبٌ لنوح وتمهد بقولها على لسان لامك قائلاً: هذا يعزينا عن عملنا وتعب أيدينا من قبل الأرض التي لعنها الرب.

فيبدو من خلال هذا الكلام تركيز التوراة مسبقاً على أن نوحاً سيكون صالحاً. وهذا يذكرنا بقول اليهود أن شعب اليهود نفسه جاء عن طريق الانتفاء

للأفضل حتى يصلوا إلى إبراهيم ومن ثم إلى يعقوب واليهود.

ثم تورد التوراة أن شروراً كثيرة انتشرت في الأرض مما أدى بالتالي إلى ندم الرب على إيجاد الإنسان في الأرض ومن ثم تدميره لبني البشر.

بينما القرآن يتحدث بصريح العبارة أن الله أرسل نوحاً إلى قومه لأنهم انحازوا عن عبادة الله الواحد. غير أن القرآن الكريم يوضح أن نوحاً أرسل إلى قومه منذراً، فهناك مهمة كلف بها هذا النبي.

وطبيعي أن وجود إبليس الذي يمثل الشر والفتنة منذ أن أنزل إلى الأرض وقول الله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو دليل على أن البشرية آيلة إلى الصراع بين الخير والشر فكيف إذاً يندم الله على صنع الإنسان وتسخير الأرض له. كيف يحزن الرب لما فعل ثم ينوي على تدمير البشرية؟.

لقد خلق الله الإنسان الأول (آدم) ثم أخطأ هذا المخلوق ثم أهبطه الله إلى الأرض ليعمرها ويصارع الشر الذي سينشره الشيطان. ويكون امتحان وموت وبعث وحساب فانحياز قوم نوح إلى عبادة الأصنام وبعدهم عن عبادة الله الواحد يأتيان ضمن سياق القدر الإلهي الذي ينفذ على الأرض متمثلاً بالصراع بين الكفر والإيمان. فلا حاجة لندمٍ متخيل من قبل الرب ولا حاجة لحزن متخيل من قبله أما تدمير قوم نوح فهذا أمر طبيعي جرت نواميسه مع كثير من الأقوام اللاحقة والتي ورد ذكرها في القرآن الكريم لقد غفلت التوراة وتغافل كتابها عن أن ما سيجري هو في علم الله الأزلي فلا يعقل أن يخلق الله البشر ولا يعرف ما ستؤول إليه أفكارهم. لقد تأسف الله حسب رأي التوراة على خلق الإنسان فقرر أن يمحو البشر والدواب والطير وكأن ما حدث من انحراف لدى البشر هو خارج عن معرفة الرب لما سيحدث.

تشير التوراة فجأة إلى قول الله لنوح أنا مهلكهم مع الأرض اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر.

بينما نرى في القرآن الكريم جدالاً يدور بين نوح وقومه حول العودة لعبادة الله الواحد وترك الأصنام. وهذه مهمة نوح بالدرجة الأولى وظل جداله معهم دون أن يعرف ما سيحكم الله في أمرهم. ولما زاد تعنتهم قالوا له لقد جادلتنا فأكثرت جدالنا وهذا يعني تماماً إصرارهم على ما هم فيه عند ذلك حدّث نوح ربه أن قومي عصوني ولم أترك أسلوباً معهم إلا واستخدمته وهنا طبعاً مهمة النبي أي نبي في إصلاح قومه يقول تعالى في سورة نوح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۝ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: 2-20].

فنلاحظ في هذه الآيات أن نوحاً دعا قومه إلى التوحيد ليلاً نهاراً وبين لهم أن الله يغفر من ذنوبهم الكثير فلم يزدهم كفرهم إلا فراراً. وكلما دعاهم صموا آذانهم واستكبروا ودعاهم علانية وسراً وأوضح لهم أنهم لو عادوا عن كفرهم سيمدهم الله بالأموال والبنين والجنان والأنهار. ثم بين لهم الأسباب المنطقية التي توجب عودتهم إلى الله. فالله خلقهم أطواراً وخلق السموات والقمر والشمس وأنبتهم من الأرض ثم سيعيدهم إليها. وجعل لهم الأرض بساطاً وطرقاً ليعيشوا بأمان واطمئنان.

وعلى الرغم من كل ذلك فإنهم ظلوا على كفرهم ولم يؤمن بنوح سوى

قلة من الناس. وهذا ما أوجب عقابهم من قبل الله سبحانه.

إذاً فتدمير البشر من قوم نوح لم يأت هكذا عبثاً أو فجأة. إن هناك نبياً ودعوة إلى التوحيد. استمرت طويلاً حتى وصلت إلى حد لا رجعة فيه فكان العقاب.

تورد التوراة أن نوحاً حمل معه في الفلك ثلاثة من أبنائه مع نسائهم.

ولم يرد ذكر ذلك في القرآن إذ أن القرآن الكريم أورد أن الذين أخذهم نوح معه هم من الذين آمنوا معه وهم قلائل. وإذا كان نوح قد جلب معه أولاده الثلاثة فإنه يكون قد حملهم معه لأنهم مؤمنون برسالته فهم حسب ذلك من القلة الذين آمنوا برسالته.

ولم تشر التوراة لا من قريب ولا من بعيد إلى ابن نوح الذي كفر بالله وجادل أباه بشأن نجاته إذا تاب. ولا ندري ما إذا كان لهذا الابن أبناء أو كان متزوجاً إنما هو إنسان عاقل يعرف التمييز بين الإيمان والكفر وقد آثر الكفر على الإيمان فغرق مع المغرقين بينما تورد التوراة أن نوحاً أخذ معه في الفلك أولاده الثلاثة مع نسائهم، فهل كان أولاده الثلاثة ونساؤهم من الذين آمنوا؟ هذا ما لم يقرره القرآن الكريم.

وتصور التوراة ندم الرب على فعله الطوفان. فقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض ولن أعود فأميت كل حي. نلاحظ هنا أن الرب حسب التصور التوراتي متقلب الأهواء. فساعة يندم لما خلق وساعة يفني البشرية ثم يعود فيندم على عمله. فهذه الصفات لا تنطبق على إله هو الكامل في صفاته. هو الذي خلق فدبر الخلق وفي علمه الأزلي كل ما مضى وكل ما سيأتي إلى يوم الدين. فهذا الرب الذي تتحدث عنه التوراة ليس رباً خالقاً وسع علمه كل شيء بل هو إله مزاجي كما رأينا وجل شأنه أن يكون بمثل ما وصفته التوراة.

ويرد في التوراة مرة أخرى أن أولاد نوح هم ثلاثة سام وحام ويافث. وتذكر أن نوحاً بدأ يزرع الأرض كرمة وباختصار شديد جداً ينضج العنب

ويعصره نوح ويصنع منه خمراً ثم يشرب من الخمر فيسكر ويتعرى.

فأين هذا مما ورد في القرآن؟ فما قالته التوراة لا يليق بنبي. وبالطبع لسنا نرى أكثر تشويهاً من هذا التشويه. ونتساءل في صدد ذلك من أين استقت التوراة هذه المعلومة فإذا كانوا يعتقدون أن التوراة هي كلام الرب ولا سيما أسفار موسى فكيف يليق بهذا الرب أن يتحدث عن نبي اصطفاه هذا الحديث؟ ألم يجد نوحاً نعمة في عين الرب فكيف يتحدث الرب عن نوح بهذا الشكل المخزي. فهو يسكر ويتعرى ويفقد توازنه ثم يصحو فيرى نفسه وقد سُترت عورته ويعرف بحسه الداخلي أن حاماً ابنه قد سخر منه.

نوح موجود بعد الطوفان. لكننا نكتشف أن سياق الحديث في التوراة وتسلسله يوحيان بأن لعنة نوح تمت على كنعان قبل أن يأتي إلى الوجود.

على أية حال فإن اللعنة إن تمت من قبل نوح بعد أن وُلد كنعان فهذا يعني أن كنعان الذي ارتحل إلى فلسطين والساحل الشامي وشكل مع أبنائه وأحفاده حضارة ما فإنه يعني أنه هاجر في زمن نوح أي وهو حي. لأن التوراة ترى أن نوحاً عاش بعد الطوفان أكثر من ثلاث مئة سنة وهذه السنون كفيلة منطقياً أن يتكاثر خلالها نسل أولاد نوح ويبلغون المئات إن لم نقل الآلاف.

وما نريد أن نصل إليه هو أن وجود كنعان والكنعانيين على أرض فلسطين هو أسبق بأكثر من ألفي عام من ظهور أول عبراني على وجه الأرض.

وفي جميع الأحوال نرى (أن التوراة عند عرضها للحوادث التاريخية لم تحدد التسلسل الزمني ولم تنسق الحوادث بحسب أزمانها وأدوارها وذلك لكي يلتبس الأمر على القارىء فيعجز عن تحديد مراحل الأحداث التاريخية وتتبع كل زمن منها)[1].

وهذا بالطبع ما فعلته التوراة حين أغفلت ذكر زمن مولد حام وزمن مولد

---

(1) د. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، الطبعة 2، صفحة 181.

كنعان وأبنائه وقد يتساءل بعضنا لماذا لم ترد تفصيلات قصة نوح ولعنته على حفيده كنعان في القرآن الكريم؟.

وكما قلنا إن هذه التفصيلات كتبت زمن احتدام الصراع بين الغزاة العبرانيين وأهل فلسطين. فهي كتابة تمت على يد البشر ولم تكن لترد في التوراة الموسوية التي أنزلها الله حقاً على موسى عليه السلام.

والقرآن الكريم عندما يتحدث للرسول ﷺ عن الأقوام السابقة وخاصة الأنبياء وأقوامهم فإنه أي القرآن لم يقصد التفصيل التاريخي لأنه ليس كتاب تاريخ كما التوراة. وكما ورد كثيراً في القرآن الكريم فإن القصد يرتبط بأمور أخرى تدلنا على غايات كبرى.

ففي سورة طه 99 يقول تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا﴾.

وفي سورة آل عمران 44: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾.

وفي سورة يوسف 3: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

وفي سورة الكهف 13: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾.

وفي سورة الأعراف 2: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

فآيات القرآن الكريم التي تتحدث عما سبق من أحداث وعمن سبق من رجال لم يحدد زمنها إذ ليس الغاية سوى الحكمة والعبرة والتحدي بعلم الغيب. على الرغم من أن القرآن الكريم يعطينا مفاتيح جميع العلوم ويترك للعقل البشري

عملية التحليل والاستنباط .

ويرد في التوراة كما رأينا أن حاماً هو أبو كنعان ولم يرد ذكر شيء عن أبناء سام أو يافث رغم أن التوراة في صفحات لاحقة تشير بوضوح وبشكل مفصل كيف جاء أبناء سام ويافث وكيف توزعوا في الأرض لكن التركيز بدأ كأنه أهم ما ذكر ولأسباب كثيرة نناقشها .

فذكر اسم كنعان مرتبط بأرض كنعان وهي فلسطين . ولما كانت التوراة قد دُونت بعد موت النبي موسى بـ مئات السنين فقد كان الصراع على أشده بين الغزاة اليهود وبين سكان فلسطين من العرب الكنعانيين . وحتى يجد العبرانيون مبرراً للحرب والإبادة فقد أضافوا أو اخترعوا قصة كنعان ابن حام .

ولماذا كنعان بالذات؟ لأن أبناءه هم أصحاب الأرض الفلسطينية وأمر طردهم وقتلهم هو من الرب أنزله من عنده كما ترى التوراة .

ويصب نوح لعنته على كنعان ابن حام وليس على حام نفسه باعتباره هو الذي سخر منه أثناء سكره وتعريه .

يقول جورجي كنعان (وجاء الأب الأول نوح الناطق باسم يهوه يوزع البركات واللعنات بين أبنائه بعد ليلة سكر وتعر، يجلل واحداً بالسيادة ويصم آخر بالعبودية وكأن الإحساس الإنساني نضب في صدر الإنسان الأول بعد الطوفان فكانت اللعنة الأولى باعثاً للعداء والحقد العنصري . ففي العائلة البشرية الأولى بعد الطوفان يبدأ نوح كما أراد له الكاتب العبري العنصري بلعنه أحد أبنائه ومباركة آخر . ويصنف أبناءه بين ملعون يبقى عبداً لأخيه ومبارك يبقى سيداً لأخيه . فنوح العنصري يلعن باسم يهوه أبا الكنعانيين ويبارك أبا اليهود)[1] .

في القرآن الكريم لم ترد قصة لعنة نوح . ولما جاء القرآن جامعاً لكل شيء إن كان بالتصريح أو الرمز أو الإشارة فإن عدم إشارته لحادثة اللعنة تثبت أن اليهود

---

(1) العنصرية اليهودية، جرجي كنعان دار النهار - بيروت ط1، 1983 صفحة 43.

لفقوا وحرفوا واخترعوا ما يناسب أهواءهم. وقصة اللعنة مخترعة من أساسها أضافها الكاتب اليهودي في عصر احتدام الصراع بين الغزاة العبرانيين وأصحاب الأرض الفلسطينية الكنعانية.

وعلى رأي التوراة التي تنسب كنعان إلى حام بن نوح فإنه يعتبر جداً للكنعانيين وعلى ذلك لا بد من الإشارة لعدة أمور:

تقول التوراة (وعاش نوح بعد الطوفان ثلاث مئة وخمسين سنة فكانت كل أيام نوح تسع مئة وخمسين سنة ومات) تكوين 9/ 28.

وتقول: (إنه ركب في السفينة مع أولاده سام وحام ويافث وكل منهم له زوجة حيث ورد كما أشرنا إلى أنه حمل في السفينة ثلاث نساء بنيه).

وعلى هذا فإن نوحاً عاش بعد أن كان لديه من الأبناء ثلاثة وكلهم متزوجون فإن لم تشر التوراة إلى أحفاده وهو حي فإن ما يستخلصه المرء أن كنعان بن حام كان قد وُلد وجده ما زال حياً.

ملاحظات حول الطوفان:

أسهم باحثون كثيرون في دراسة ظاهرة الطوفان حسب ما جاء في التوراة وقدم بعضهم مقارنة بالنصوص القرآنية التي تناولت هذا الحدث الكبير.

وكان لموريس بوكاي رأي في ذلك وأورد ما قاله هذا العالم الفرنسي باعتباره وثيقة علمية تناولت هذا الحدث.

يقول بوكاي: ليس في التوراة رواية واحدة فقط عن الطوفان بل هناك روايتان ولكنهما حررتا في عصور مختلفة.

1 ـ الرواية اليهودية التي ترجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

2 ـ الرواية الكهنوتية التي ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد والتي أخذت هذا الاسم لأنها من تأليف كهنة هذا العصر.

ولا تأتي هاتان الروايتان كل إلى جانب الأخرى وإنما تتشابكان وتتداخل عناصر إحداهما في عناصر الأخرى. وتتعاقب فقرات كل مصدر بالتبادل مع فقرات المصدر الآخر.

وتشير تعليقات ترجمة سفر التكوين للأب ديفو الأستاذ بمدرسة الكتاب المقدس بالقدس إلى هذا التوزع للفقرات بين المصدرين. فالرواية تبدأ وتنتهي بفكرة يهوية وهناك بالإجمال 10 فقرات يهوية وبين كل فقرتين منها توجد فقرة من النص الكهنوتي. هذه النصوص متعددة الأصول ولا تتمتع بالوضوح إلا من حيث تعاقب الأحداث. فبين النصين توجد تناقضات صارخة ويقول الأب ديفو (إنهما حكايتان للطوفان تختلف فيهما العوامل التي أدت إلى الطوفان كما يختلف زمن وقوعه ويختلف عدد الحيوانات التي شحنها نوح بالسفينة).

إن رواية الطوفان في العهد القديم غير مقبولة في إطارها العام وذلك لسببين يتضحان على ضوء المعارف الحديثة.

أ ـ يعطي العهد القديم للطوفان طابعاً عالمياً.

ب ـ على حين لا تعطي فقرات المصدر اليهوي للطوفان تاريخاً. تحدد الرواية الكهنوتية زمن الطوفان في عصر لم يكن من الممكن أن تقع فيه كارثة من هذا النوع. والحجج التي يستند إليها هذا الحكم هي ما يلي:

تحدد الرواية الكهنوتية أن الطوفان قد حدث عندما كان عمر نوح 600 عام غير أنه من المعروف بحسب الأنساب المذكورة في الإصحاح الخامس من سفر التكوين أن نوحاً ولد بعد آدم بـ 1056 عاماً (وهذه الأنساب كهنوتية المصدر هي أيضاً). وينتج عن ذلك أن الطوفان قد وقع بعد 1656 عاماً من خلق آدم. ومن ناحية أخرى فجدول نسب إبراهيم الذي يعطيه سفر التكوين يسمح بتقدير أن إبراهيم قد ولد بعد الطوفان بـ 292 عاماً ولما كنا نعرف أن إبراهيم كان يعيش في حوالي 1850ق.م فإن زمن الطوفان يتحدد إذن على حسب التوراة بـ 21 ـ 22 قرناً

قبل المسيح وهذا الحساب يتفق بمنتهى الدقة مع إشارات كتب التوراة القديمة التي تحتل فيها هذه التحديدات المتسلسلة مكاناً طيباً قبل نص التوراة وذلك في عصر كان الافتقاد إلى المعلومات الإنسانية في هذا الموضوع يجعل معطيات هذا التسلسل التاريخي للأحداث مقبولة بلا جدل لدى قرائها. حيث أنه لم يكن هناك أيضاً أي حجج مضادة.

كيف يمكن اليوم تصور أي كارثة عالمية قد دمرت الحياة على كل سطح الأرض باستثناء ركاب السفينة في القرن 21 ـ 22ق. م؟ ففي ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت وانتقلت أطلالها إلى الأجيال التالية. وبالنسبة لمصر على سبيل المثال كانت تلك الفترة الوسطى التي تلت نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى وبالنظر إلى ما نعرف عن تاريخ هذا العصر فإنه يكون مضحكاً القول بأن الطوفان قد دمر في ذلك العصر كل الحضارات.

وعلى ذلك ومن وجهة نظر تاريخية فيمكن أن نتأكد أن رواية الطوفان مثلما تقدمها التوراة تتناقض بشكل واضح مع المعارف الحديثة.

أما رواية القرآن للطوفان. فإن القرآن يقدم رواية شاملة مختلفة ولا تثير أي نقد من وجهة النظر التاريخية.

لا يقدم القرآن عن الطوفان رواية مستمرة فهناك سور عديدة تتحدث عن العقاب الذي وقع على شعب نوح.

وعلى حين تتحدث التوراة عن طوفان عالمي لعقاب كل البشرية الكافرة يشير القرآن على العكس إلى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة جداً.

وعلى ذلك فالقرآن يقدم حادثة الطوفان باعتبارها عقاباً نزل بشكل خاص على شعب نوح وهذا يشكل الفرق الأساسي الأول بين الروايتين.

أما الفرق الجوهري الثاني فهو أن القرآن على عكس التوراة لا يحدد زمن الطوفان ولا يعطي أية إشارة عن مدة الكارثة نفسها.

إن رواية القرآن تتضح خالية من أي عنصر مثير للنقد الموضوعي[1].

أما الدراسات التاريخية والكشوف الأثرية فقد رفضت مقولة إن كنعان هو ابن حام. وقد أكدت أن الكنعانيين هم عرب جاؤوا من جنوب شبه الجزيرة العربية في حوالي عام 3000ق. م حيث لم يكن في هذا الوقت عبرانيون على أرض الوجود، ومسألة كون كنعان بن حام هو حفيد نوح مسألة تخص التوراة وحدها والتزوير وحده، ولا علاقة لهذه المسألة بالمنطق التاريخي العلمي أو الأسطوري الميثولوجي، ثم ليس ما يثبت أن لنوح ثلاثة أولاد هم سام وحام ويافث. وإلى جانب رفض الدراسات التاريخية فإن القرآن الكريم يرفضها كما أوردنا سابقاً. إن كلمة سام والشعوب السامية مصطلح أطلق في القرن الثامن عشر والذي أطلقه المؤرخ والباحث النمساوي (تسلوتسر) عام 1781 مستنداً في ذلك على التوراة. وقد أكد الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام أن مصطلح شعوب سامية مصطلح مبهم بينما مصطلح شعوب عربية أقرب إلى المنطق العلمي لأن هذه التسمية ملموسة المفهوم. وقد أطلق اليونان والرومان اسم العرب على سكان الجزيرة العربية منذ الألف الأول ق. م أي قبل نشر مصطلح شعوب سامية بحوالي 2000 عام).

وليس مصادفة إذاً أن يختار اليهود أرض كنعان العربية ليستعمروها ويستوطنوها. فبعد صب لعنة نوح على حفيده صار اليهود ينسجون القصص والأقاويل حول انحطاط سكان فلسطين من العرب الكنعانيين وما زالت هذه النظرية تمارس إلى اليوم.

الطوفان واقعة حقيقية وليست أسطورة:

شغلت حادثة الطوفان ساحة واسعة من الدراسات المختلفة. وقد اعتمد دارسو العهد القديم في دراساتهم عن الطوفان على ما أوردته التوراة باعتباره

---

(1) موريس بوكاي، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا طرابلس دون تاريخ ص244.

الكتاب الأقدم بين المدونات التاريخية. بينما راح بعض العلماء المتخصصين بعلم الآثار والجغرافيا والجيولوجيا يبحثون في الأرض عن معطيات جيولوجية وجغرافية علهم يجدون فيها شيئاً مما يثبت صحة وقوع الطوفان بيد أن بعض الدارسين وجدوا في حادثة الطوفان أسطورة تتكرر لدى كثير من الشعوب. ولم يجدوا أي دليل علمي يثبت أن الطوفان واقعة حدثت بينما راحوا يدرسونها في التوراة وفي أساطير الشعوب القديمة على أنها أساطير وملاحم صنعها خيال الناس.

وقد شاعت قصة الطوفان في كثير من بقاع الأرض مما جعل بعض الباحثين يقف موقف الحائر بين أن يميل إلى القول بأن الطوفان حقيقي وبين القول بأنه أسطورة.

(إن شيوع أساطير الطوفان والدمار الشامل في جميع أنحاء العالم يثير مسائل شتى تتعلق بتفسير هذا النوع من الأساطير وبواعث نشأتها. , فهل تنقل هذه الروايات المرعبة أحداثاً تاريخية وقعت في أزمان سحيقة قبل التاريخ المكتوب وترسخت في ذاكرة الشر. إن هذا التفسير رغم جاذبيته لا تؤكده الدراسات الجيولوجية والأركيولوجية حتى الآن. أم هل كشفت هذه الأساطير عن حقائق نفسية ونوازع خافية باطنة؟ هل هي طغيان النزعات التدميرية الكامنة في لا شعور البشر ورغبة لا واعية في تدمير الذات. هل هي إحساس عارم بالإحباط من حضارة تسير دوماً في اتجاه مخالف لسعادة الإنسان. حضارة يجب تدميرها كلما أحكمت حلقاتها وضيقت خناقها على صانعيها أسئلة أتركها بلا جواب)[1].

فهذا شاهد على ما تركته حادثة الطوفان من أثر في عقول بعض الباحثين. فلا هم يجزمون بوقوعها ولا هم يؤكدون أنها أسطورة لأنهم لم يجدوا الجواب الشافي لذلك.

بينما راح باحثون آخرون يدرسون الظاهرة على ضوء بعض الدراسات الجغرافية

---

(1) فراس السواح: مغامرة العقل الأولى. دار الكلمة. لبنان 1981 ص 124 ـ 125 ط ثانية.

والجيولوجية محاولين بذلك دحض مزاعم توراتية حول قصة النبي نوح والطوفان.

يقول عبد الرحمن غنيم (إن سفينة نوح التي أعيوا النفس في البحث عنها لتكون مصداقاً لما خطه كتبة التوراة عن الطوفان هي في مجابهة الغزو الصهيوني الراهن لمنزل أمتنا المبارك آية)، ثم يقول لقد فار التنور في منزل نوح في (فزان) أو قربها عام 6600ق. م إيذاناً بالصعود إلى الفلك وسيحفر الآثاريون هناك بحثاً عن التنور لكنهم سيجدون التنور (الطابون) وقد انتقل إلى بلدة أبو غوش وبلدة بيسمون في فلسطين وإلى بلدة لبوه وغيرها في لبنان وإلى تل الرماد في دمشق وتل أسود في الشمال السوري وتل الصوان في العراق خلال مئات السنين التي أعقبت وصول السفينة إلى الجودي في فلسطين.

ثم يدرس هذا الباحث طبيعة الوديان والجبال والأمطار والسيول ليصل إلى نتيجة تفيد بأن مسار سفينة نوح بدأ من غرب مصر وامتد حتى بلاد الشام والجزيرة[1].

أما وجهة النظر الإسلامية فتستند إلى آيات القرآن الحكيم المنزل من عند الله سبحانه وتعالى وكل ما أنزل في القرآن هو حقيقة ولا سيما قصص الأنبياء. وكلام الله سبحانه ليس أسطورة ولا تراثاً شعبياً حتى يتأوله الباحثون في الأسطورة.

ونحن بدورنا على الرغم من إيماننا الراسخ بأن طوفان نوح حقيقة وقعت إلا أن وجهة نظرنا تستند أيضاً إلى معطيات تؤكد حقيقة الحدث وواقعيته.

الطوفان في مدوّنات الشعوب:

لم تنحصر قصة الطوفان في التوراة والقرآن الكريم بل انتشرت في مدونات الشعوب القديمة قريبها وبعيدها ولا سيما في خطوطها العامة والرئيسية. وهذا الانتشار دليل واضح على وقوع الطوفان وإلا كيف تدون الحادثة عند السومريين

---

(1) روان سر الأسرار. عبد الرحمن غنيم دار الجليل، دمشق عام 1991، ط1، ص 29 ـ 30.

والبابليين واليونان والعبرانيين ثم يوحي القرآن الكريم إلى النبي ﷺ ويخبره بأن قصة الطوفان قد حدثت فعلاً مع نبي الله نوح عليه السلام.

وإذا تعرفنا على ما دون لدى الشعوب وجغرافية المناطق من حيث تواجدها وتوضع شعوبها أدركنا أن هناك مناطق في الوطن العربي تناقل سكانها حادثة الطوفان باعتبارها حدثاً وقع فعلاً. ومن ثم تفتحت عيوننا على دراسة مقارنة بين ما دونوه، وما مدى الاختلافات والاتفاقات بينهم وبالمحصلة نستطيع أن نصل إلى معرفة الأسبق في التدوين وما دور العبرانيين في ذلك.

هل ما جاء في التوراة هو كلام الله الذي أنزل على موسى؟ أم أن التوراتيين نقلوا حادثة الطوفان عن البابليين أثناء السبي باعتبار أن تدوين التوراة تم أثناء ذلك؟

هذا السؤال الذي يطرح نفسه لا بد له من إجابة منطقية حتى ندرك أن النص القرآني هو الحق والنص التوراتي هو الذي شوّه شخصية نوح عليه السلام واخترع شخصية كنعان جد الكنعانيين ليلعنها نوح ويكون الصراع المستقبلي مع سكان فلسطين بسبب لعنة إلهية أو نبوية.

أما مدونات السومريين فتقول إن الآلهة قررت إفناء البشرية بواسطة طوفان يغمر الأرض إلا أن بعض الآلهة تظهر عدم رضائها عن ذلك القرار. فآلهة الخصب والحب (أنانا) تنوح وتبكي مصير البشر المفجع وهذا إنكي إله الحكمة يخرج عن إجماع الآلهة ويأخذ على عاتقه إنقاذ بذرة الحياة على الأرض. يتصل إنكي بالملك زيوسودرا وكان إنساناً تقياً صالحاً فيحدثه من وراء حجاب كاشفاً نوايا الآلهة شارحاً له خطته لإنقاذ الحياة. والتي تتلخص في قيام زيوسودرا ببناء سفينة كبيرة لحمل الزمرة الصالحة من البشر وبعض الحيوانات.

وتصف لنا المقاطع الموجودة في الألواح السومرية التي عثر عليها في مدينة نفر السومرية السفينة أثناء الطوفان وتحدثنا عن قيام زيوسودرا بذبح ثور وكبش قرباناً للآلهة بعد نجاته وبعد انتهاء الطوفان يكافأ زيوسودرا على علمه بإعطائه

نعمة الخلود وإسكانه في أرض دلمون جنة السومريين.

أما مدونات البابليين فقد اكتشفها عالم الآثار الإيطالي جورج سميث عام 1872 وقد توصل إلى حل رموز أحد الألواح الموجودة في مكتبة بانيبال الحاوي على نص عن الطوفان مشابه للنص التوراتي.

وقد أثار هذا الإعلان الكثير من الحماس وتم الكشف عن ألواح ملحمة جلجامش الاثني عشر والتي تغطي حادثة الطوفان معظم اللوح الحادي عشر.

يصل جلجامش إلى أوتنابشتيم الإنسان الذي منّت عليه الآلهة بالحياة الخالدة يسأله عن سر الخلود وكيف الحصول عليه. فيقص عليه أوتنابشتيم قصته مؤكداً أن ما حصل له هو أمر فريد لن يتكرر بسهولة لأحد من الناس ويكشف له أسرار واقعة الطوفان الكبير.

وفي أحد النصوص البابلية يرد ما يلي: قوض بيتك وابن سفينة، اهجر ممتلكاتك وانج بنفسك اترك متاعك وأنقذ حياتك. اعمل على حمل بذرة كل ذي حياة والسفينة التي أنت بانيها ستكون وفقاً لمقاسات مضبوطة. فيكون عرضها معادلاً لطولها.

ثم يرد سأهبط إلى إبسو أعيش مع مولاي أيا. وعلي الآن أن لا أبقى في مدينتكم. أما أنتم فسينزل عليكم مطر وافر.

ويقول: وبعد أن أدخلت إليها أهلي وأقاربي جميعاً وطرائد البرية ووحوشها وكل أصحاب الحرف عين لي الإله (شمش) وقتاً محدداً. وعندما يرسل سيد العاصفة مطراً مدمراً في المساء أدخل الفلك واغلق عليك بابك. وما إن أزف الموعد حتى أرسل سيد العاصفة مطراً مدمراً في المساء. وما أن لاحت تباشير الصباح حتى علت الأفق غيمة كبيرة سوداء يجلجل في وسطها حدد.

ويتابع: عصفت الريح العاتية يوماً كاملاً. أتت على الناس فحصدتهم كما الحرب.

ناحت سيدة الآلهة ذات الصوت العذب لقد آلت إلى طين تلك الأيام القديمة ذلك بأنني نطقت بالشر في مجمع الآلهة. فكيف استطعت أن آمر بمثل هذا الشر كيف استطعت أن آمر بالحرب لتدمير شعبي.

ستة أيام وست ليال. والرياح تهب والعاصفة وسيول المطر تطغى على الأرض. ومع حلول اليوم السابع. العاصفة والطوفان خففت من وطأتها. وأخذ البحر يهدأ والعاصفة تسكن والطوفان يتوقف.

ويتابع: واستقرت السفينة على جبل نصير أمسك الجبل بالسفينة ومنعها من الحركة ومضى اليوم الأول والثاني والجبل ممسك بالسفينة وعندما حل اليوم السابع أتيت بحمامة وأطلقتها في السماء. لم تجد مستقراً فآبت. الخ[1].

ولدى المقارنة بين النص التوراتي والنصّين السومري والبابلي نجد أن تشابهاً كبيراً يقع بينهما فإله الطوفان عند التوراتيين هو (يهوه) وإله الطوفان في النص البابلي هو الإله إنليل.

والغرض من الطوفان لدى النصين هو تخليص الأرض من الفساد الأخلاقي.

أما بطل الطوفان السومري فهو زيوسودرا. والكلمة تعني الذي وضع يده على العمر المديد أما اسم أوتنابشتيم فيعني الذي رأى الحياة. ونوح حسب النص التوراتي يعمر كثيراً. فهذا تشابه واضح بين الشخصيتين. وهناك تشابه في حجم السفينة. فهي (ماجور) في المدونات السومرية وتعني عملاقة. وهي الهيكل العظيم عند البابليين. وركاب السفينة هم من الناس والحيوان على أن النصوص تتشابه بأن بطل السفينة حمل معه أهله وأقاربه. وسبب الطوفان مياه الأمطار والأمطار السفلية في النص التوراتي والنص السومري والنص البابلي.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل اعتمد النص التوراتي على النص البابلي أو أي من النصوص الأخرى؟

---

(1) هذه النصوص منقولة من كتاب فراس السواح. مغامرة العقل الأولى ص 132 ـ 133.

الواضح أن بعض الباحثين أجاب بنعم مع بقاء الاحتمال قائماً في رجوع النصوص جميعاً إلى نص أقدم أو إلى رواية بقيت في أذهان الشعوب التي عاشت في المنطقة العربية وهي على ديانة توحيدية سابقة. والواقع أن الهيكل العام للرواية التوراتية ينطبق بكل خطوطه العريضة وبكثير من تفاصيله على النص البابلي حتى أن بعض التعابير تكاد تنطبق بحرفية مطلقة[1].

لقد قلنا قبل صفحات إن تدوين التوراة قد تم أثناء السبي البابلي ولا شك أن هذا التدوين قد وقع تحت تأثير العقلية البابلية حيث من المعروف أن الضعيف يقلد الأقوى والأمة المغلوبة تقلد الأمة الغالبة.

ولا شك أننا حينما نرى الإله التوراتي يندم على تدميره للأرض وقضائه على الإنسان إلاّ بعض بنيه يذكرنا فوراً بالمناحات والبكاء حين صدرت عن بعض الآلهة التي أشفقت على الإنسان من هذا الطوفان. فالإله التوراتي المأخوذة أكثر صفاته من الآلهة الوثنية البابلية وغيرها لا تنطبق عليه صفات الإله الكامل المنزه عن الحقد والكره ومن ثم الحزن والألم والندم والذي يؤكد أن النص التوراتي أخذ عن النص السومري ثم البابلي تلك الصفات التي ألصقوها بالإله. فهي بشكل واضح صفات الآلهة المتصوّرة عند تلك الشعوب وليست صفات الله الواحد.

وإضافة لما تقدم فقد أتى القرآن على ذكر عبادة قوم نوح. فهو يدعوهم إلى التوحيد وهم مصرون على الشرك. وقد عبدوا أصناماً جاء القرآن على ذكر أسمائها.

يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: 23].

فهذه الأصنام الخمسة ذكرها القرآن الكريم على أنها الأصنام التي تمثل الآلهة التي عبدها قوم نوح. فهم وثنيون انحرفوا عن ديانة التوحيد وغلوا في

---

(1) فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، صفحة 155.

وثنيتهم حتى كان الطوفان عقاباً لهم وقد كانت هذه الأوثان معروفة لدى عرب الجاهلية قبل الإسلام وقالت بعض المصادر التاريخية العربية إن العرب الجاهليين جلبوا هذه الأوثان من ساحل البحر الأحمر. وإذا صح ذلك فإنه يؤكد أن مسرح انتشار قوم نوح لم يكن بعيداً عن قلب المنطقة العربية. ويؤكد أيضاً أن هبوط السفينة ومسرح أحداث الطوفان لم يبعد كثيراً عما أورده الباحث عبد الرحمن غنيم والذي ذكرنا رأيه سابقاً.

أما ما ورد في بعض الكتب التراثية ككتاب الثعلبي النيسابوري في قصص الأنبياء فلا معوّل عليه لأنه يُدخل الأسطورة بالحقيقة ويمتلئ بالإسرائيليات والأقوال التي ليس لها سند قرآني أو سند من أحاديث رسول الله ﷺ.